مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر



إشراف : د. يونان لبيب رزق

التيارات السياسية والاجتماعية
بين المجددين والمحافظين

دراسة تاريخية
في فكر الشيخ محمد عبده

الدكتور زكريا سليمان بيومى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٣

تقديم

ليس من أهداف هذه السلسلة اصدار التراجم ناهيك اذا كانت هذه الترجمة عن شخصية مثل شخصية الشيخ محمد عبده وقد تبارى كبار الأدباء والمؤرخين فى الكتابة عنها (١) ٠

ومن ثم فان المقصود بهذه الدراسة الجديدة التى تتضمنها سلسلة « مصر النهضة » ليس مزيدا من التأريخ لشخصية « الأستاذ الامام » ، ولكن المقصود التأريخ للصراع بين المحافظين والمجددين من خلال فكر الشيخ محمد عبده ٠

وقد انبعث وضع هذا الصراع فى نطاق فكر الامام من حقيقتين :

تتصل (أولاهما) بطبيعة المرحلة التاريخية التى عاصرها محمد عبده ، وهى مرحلة اتسمت بدرجة عالية من التطورات السياسية والاقتصادية ـ الاجتماعية والفكرية ٠

فعلى الصعيد (السياسى) تكفى الاشارة الى الثورة العرابية والاحتلال البريطانى والحركة الوطنية والجامعة الاسلامية ٠

وعلى المستوى (الاقتصادى ـ الاجتماعى) يكفى ما حدث من

---

(١) انظر قائمة المراجع ٠

رسوخ مقومات الرأسمالية وتأكيد الملكية الزراعية الكبيرة وارتباط مصر بعجلة الاقتصاد العالمى مما تولد معه لون من التميز الطبقى خلف بصماته على خريطة المجتمع المصرى ٠

وتبقى (المتغيرات الفكريه) ممثلة فى رياح التغريب التى بدأت على استحياء خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر وتحولت الى اعصار فى الحقبة التى عاشها محمد عبده ٠

وكان حتميا مع هذه الدرجة العـالية من التطورات احتدام الصراع بين أصحاب المصالح المختلفة فيها وأصحاب المواقف المتباينة منها وقد تمثل هؤلاء بالاساس فى تيار من لا يقبلها (محافظون) وتيار من يرحب بها (مجددون) ٠

وتتعلق (الحقيقة الثانيـة) بشـخصية « محمد عبده » ذات الجوانب المتعددة والمواقف المحـددة من كل المتغيرات السـابقة ، فهو الثائر مع العرابيين ، وهو المصلح فى ظل الاحتلال ، وهو تلميذ الافغانى الداعية الأول للجامعة الاسلامية ٠

أضف الى ذلك ان مواقف الشيخ تجاه عـديد من القضـايا الاجتماعية والفكرية تمت بشكل محدد وبدرجة حولتها الى معارك بين المحافظين والمجددين كما يوضـح الدكتور زكريا سليمان فى هـذا المؤلف ٠

ولا شك ان هذه المواقف قد جاوزت عصر الشيخ محمد عبده فتكون مدرسة فى السياسة ـ ممثـلة فى حزبى الأمة والأحرار الدستوريين من بعده ـ وفى الاصـلاح الاجتماعى والفكرى تسمت باسمه واستمرت قائمة بعد رحيل « الأسـتاذ الامام » تثرى الفكر السياسى والاصلاحى فى مصر ٠

وتأسيسا على هاتين الحقيقتين يأتى هذا الكتاب ليؤرخ للعصر وللرجل وما اتصل بهما من مواقف المحافظين والمجددين • ولعـل « مصر النهضة » تكون قد أضافت من خلال ذلك جديدا فى الرؤية التاريخية •

وعلى الله قصد السبيل ؟

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

مقدمة

حظيت آراء الشيخ محمد عبده باهتمام عديد من الدراسات الأكاديمية وغير الأكاديمية فى حقول التاريخ والفلسفة والفقه وكذلك الذين يعنون بدراسة التيارات الفكرية من العرب والأجانب ٠ وعلى الرغم من ذلك فان هذه الآراء مازالت فى أغلبها تحتاج الى مزيد من الدراسة خاصة وأن أغلب الدراسات حولها ـ حتى الأكاديمية ـ قد مالت الى التطرف مدحا أو قدحا سواء فى شخصية محمد عبده أو فى آرائه كتلك الدراسة التى قام بها الدكتور عثمان أمين بعنوان « رائد الفكر المصرى الامام محمد عبده » والتى ذهب فيها الى حد بعيد فى مدح الشيخ والدفاع عن آرائه ، وفى المقابل تأتى كتابات الاستاذ الدكتور محمد محمد حسين وبخاصة التى وردت فى كتابه « الاسلام والحضارة الغربية » التى ألقت الضوء على عديد من الجوانب فى شخصية محمد عبده وسلوكه والتى حاول أن يعالج ـ مهاجما ـ آراءه ـ ومن منظور اسلامى محافظ ـ من خلالها ٠

كما أن أغلب مفكرى الغرب ـ ومن تبعهم من المفكرين المسلمين ـ ممن تعرضوا لدراسة هذا الموضوع بصفة خاصة ، أو تناولت أبحاثهم الاتجاهات الاصلاحية فى مصر والعالم الاسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر بوجه عام قد أعمتهم دعاوى القومية الأوربية بشكل جعلهم ينسبون كل ماهو مضىء فى ثقافتنا الى الحضارة الأوربية دون

ارجاعها – تجاهلا أو عدم ادراك – لتراثنا الحضارى والاسلامى ·
وذهب بعضهم الى حد انكار ما أسهم به العرب والمسلمون في الحضارة العالمية عامة والأوربية المعاصرة بوجه خاص ·

لكننا نحن المسلمين لا نستطيع انكار تأثر الأفغانى ومحمدعبده وغيرهما بالفكر الأوربى الذى وفد الى الشرق الاسـلامى منذ مطلع القرن التاسع عشر ، والذى هز الفكر الاسلامى هزة عنيفة استوجبت ضرورة اليقظة والتنبه لحالها ولما يراد بها ، فسعت الى احياء التراث وتجديد الفكر القائم بشكل يلائم قضايا العصر ·

ولم يكن اتجاه الأفغانى ومحمد عبده الاصلاحى اتجاها «كهنوتيا» بالمفهوم الأوربى بل كان اصلاحيا دينيا بالمفهوم الاسـلامى الشمولى حيث شمل كافة جوانب الاصلاح السياسى والاجتماعى والاقتصادى من خـلال الاصـلاح الدينى الذى وصفته العروة الوثقى بقولها : « أن أصوله لم تكن قاصرة على دعوة الخلق الى الحق وملاحظة أحوال النفوس من جهة كونها روحانية ·· بل هى كما كانت جاءت وافيه بوضع حدود المعاملات بين العباد وبيان الحقوق كليها وجزئيها وتحديد السـلطة الوازعة التى تقوم بتنفيذ المشروعات واقامة الحـدود » · وهذه النظرة تلتقى مع نظرة ابن خلدون الى التاريخ التى تتجه الى تحليل الظواهر الاجتماعية على ضوء الواقع لا على ضـوء القوانين الغيبية ·

ومن هنا يمكن التدليل – بل التأكيد – على أن هـذا الاتجـاه الاصـلاحى كانت جـذوره اسلامية أكثر منها أوربية ، كما يمكن – من جهة أخرى – تفسير أسباب الصـدام بين أقطابه والسـلطة السياسية ، وبينهم وبين المشـايخ التقليديين وكذلك دعاة التقليد الأعمى للحضارة الغربية ·

لقد التقى كل من السلطة السياسية والمشايخ التقليديين على طريق واحد يهدف الى تقويض الاتجاه الاصلاحى الذى قاده جمال الدين ومن بعده محمد عبده ، فطرد جمال الدين من مصر ، ونفى محمد عبده خارجها · ولم يكن باستطاعة محمد عبده أن يهاجم الاثنين معا بعد عودته وحيدا الى مصر فحاول الفصل بين القوتين حتى ينفرد باصلاح كل منهما أو أيهما بدءا بالأزهـــر وحسبما تتيحه الظروف ، فنادى بفكرة ـ أملتها الظروف ـ ابعاد السياسة عن الدين ، وتحمل ما نتج عن ذلك من اتهام بالترويج للعلمانية ، وهو اتهام قوى جناح معارضيه من مشايخ الأزهر المحافظين · لكنه حينما اشتد فى الهجوم عليهم وحاول تعريتهم واظهـار جهلهم بعلوم العصر وحتى ببعض جوانب دينهم لاذوا بالسلطة السياسية ، فاضطر محمد عبده الى الاستعانة بسلطة كرومر · على أنهما ـ أى الخديو ومشايخ الأزهر ـ قد تمكنا معا من تقويض دوره الاصلاحى وذلك لأن تأييد كرومر له فى خطواته الاصلاحية كان تأييدا محدودا لا مطلقا كما كان يريد ، ومات دون أن يحقق ما يصبو اليه ·

وبصفة عامة ينبغى أن نوضح أن أغلب المفكرين الأحرار فى العالم العربى بشتى انتماءاتهم لايجدون المناخ المناسب لنشر أفكارهم، ويرجع ذلك فى الغالب الى سـيطرة المحافظين التقليديين لظروف سياسية واجتماعية واقتصادية تؤدى الى دوام انتصارهم على أتباع الفكر الحر ولارتباط المفكرين الأحرار بالفكر الغربى الحر فى الوقت الذى يبدو فيه الغرب فى صورة بغيضة لدى الجماهير وهى صورة تقوى موقف المحافظين · لكنه على الرغم من ذلك فان الفكر الحر كان ومازال له تأثيره على كافة التيارات الفكرية ·

وكما لم تكن وفاة محمد عبده نهاية لحملة الهجوم عليه لم تقف هذه الحملات عند حد مهاجمة آرائه بل تعدتها الى حد اتهامه فى دينه

وسلوكه ، ولازال هذا التيار ينقب حوله بغرض التشكيك فى أصله وانتماءاته واسناد عديد من المساوىء اليه · ومن هنا رأينا انه من الضرورى اعداد هذه الدراسة التاريخية فى محاولة موضوعية لالقاء الضوء ـ ومن خلال ظروف العصر ـ على حقيقة الدور الذى لعبه محمد عبده وأثره على تطـور الحيـاة الفكرية والاجتماعية فى مصر الحديثة

والله ولى التوفيق

القاهرة فى ١٩/١/١٩٨٣م

د· زكريا سليمان بيومى

تمهيـــد

شهد القرنان الخامس عشر والسادس عشر · بروز قوة اسلامية فتية هى الدولة العثمانيـة التى رفعت راية الجهـاد ضـــد الأطماع الصليبية فى البلاد الاسلامية · ولقد بدا ذلك فى دفاعها عن المناطق المقدسة فى شبه الجزيرة العربية (١) ، وكذلك فى تأييدها لحـــركة الجهـاد فى البحر الأبيض المتوســـط ضـد الأطماع الأســـبانية والبرتغالية (٢) ، فضلا عن أنها قد حافظت على استمرار الخلافـة السنية لزمن طويل ·

ولكن على الرغم من ذلك فان أحداث هذين القرنين قد أسهمت في تحول خطير فى تاريخ العالم الاسلامى ، حيث انقســـم مشرقه عن مغربه ، ولم يقف هذا الانقسام عند حد الانقسام السياسى بل تعداه

---

(١) د· صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ، الانجلو المصرية سنة ١٩٧٤ ص ١٤ وما بعدها ·

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر : د· عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج ٢ الانجلو المصرية سنة ١٩٨٠ ص ٨٦٢ ، ٨٦٤ وما بعدها · ؛ د· جلال يحيى ـ المغرب الكبير دار المعارف سنة ١٩٦٦ ج ١ ص ١٧ ؛ د· عبد الله العروى : تاريخ المغرب ترجمـــة ذوقان قرقوط المؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة ١٩٧٧ ص ٢٤٤ وما بعدها · ؛ أحمد توفيق مدنى ـ حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ١٤٩٢م ـ ١٧٩٢م ط ٢ الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر سنة ١٩٧٦ ص ٢٠٣ وما بعدها ·

الى انقسام حضارى بدا فى احياء اللغات القديمة والتراث القديم وسارت جنبا الى جنب مع اللغة العربية والتراث الاسلامى ، فضلا عن ظهور بعض الفرق الاسلامية التى أسهمت فى توسيع هوة هذا الانقسام(١) ٠

وشهدت القرون التالية (السابع عشر والثامن عشر) سواء فى مصر أو فى العالم العربى عزلة تامة عن العالم الخارجى(٢) ، ولم يعن أغلب ساسة الأتراك فى هـــذه الفترة بأمور الدولة ، ولم يسلكوا سبيل العدل والحكمة ـ كما كان الحال مع أسلافهم ـ ، ولم يأخذوا بأسباب العلم ـ وهو أمر يرجعه البعض الى عدم تشبعهم بالحضارة الاسلامية فضلا عن افتقادهم للرصيد الحضـــارى ـ ، حتى جاءت العصور الحديثة لتشهد هذه البلاد « ظلمة حالكة ومحنة شاملة وجهل مطبق وظلم فادح وفقر مدقع » (٣) ٠

---

(١) عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الاسلام ـ ط ٢ مكتبة الآداب ـ القاهرة سنة ١٩٦٢ ص ٣٤٨ ٠

(٢) لا ينبغى القاء تبعة هذه العزلة على الدولة العثمانية وحدها وعلى الأقل فى القرن السادس عشر ، فمع أن طابع الأتراك المعروف هو الاستعلاء والعزلة ، الا أن بعض السلاطين الأوائل قد حاولوا ابقاء حركة التجارة بين مصر والشام وموانىء أوربا كجنوة والبندقية ٠ لكن اغلب الحكام المحليين لم يستجيبوا لهذه المحاولة ، فضلا عن أن تحول طريق التجارة الى طريق رأس الرجاء الصالح قد أسهم فى اضعاف الحركة التجـــارية فى المنطقة العربية وفرض العزلة عليهـــا ٠ أنظر : د٠ نور الدين حاطوم : تاريخ عصر النهضة الأوربية ـ دار الفكر الحديث ـ بيروت سنة ١٩٦٨ ص ٣٣٥ وما بعدها ٠ ؛ د٠ عمر عبد العزيز عمر : عبد الرحمن الجبرتى ونقولا الترك ـ دراسة مقارنة ـ بيروت ١٩٧٨ ص ٣ ٠

(٣) أحمد أمين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ـ القاهرة سنة ١٩٦٥ ص ٦ ؛ عبد الرحمن الجبرتى : تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبـــار ـ دار الفارس ـ بيروت ـ بدون تاريخ ج ١ ص ٨٦ حيث يذكر المؤلف حوادث متفرقة عن اعتداءات الأتراك على أهل البلاد ٠ ؛ عبد العاطى محمد أحمد : الفكر السياسى =

على أنه من الانصاف نذكر أن بعض ساسة تركيا قد حاولوا النهوض بها ـ كالسلطان محمد الثانى والسلطان عبد الحميد الثانى ـ لكن جهودهم لم تكلل بالنجاح لسيطرة عديد من المحافظين التقليديين على مصائر أغلب الأمور ، ورفضهم للحضارة الأوربية برمتها ، وكذلك لاصطدام السلاطين بدعاة القومية الطورانية «التركية» التى ازداد أنصارها خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر(١) ٠

ومــع أن الدين الاســلامى كان هو المسيطر على حيــاة الناس الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصـــادية ، وأن علماءه كانوا يشكلون الطبقة الفكرية الوحيدة سواء كانوا الشيوخ التقليديين فى الأزهر أو مشايخ الطرق الصوفية ، وأنهم تمتعوا بوضع اجتماعى أفضل من بقية أفراد الشعب(٢) ، الا أن العلوم التى كانت سائدة طوال هذه الفترة ظلت محصورة فى اطار العلوم القديمة كأصـــول الدين والفقه والنحو والصرف وبعض الحساب البسيط والفلك الذى اقتصرت مهمته فى الغالب على معرفة أوقات الصلاة (٣) ٠ ولم يطرأ

= للامام محمد عبده ص ٣٧ ؛ د٠ جلال يحيى : مصر الحديثة ـ منشأة المعارف بالاسكندرية ص ١٩٥ ٠ وعن الدور الاسلامى للدولة العثمانية أنظر : د٠ عبد العزيز الشناوى : المرجع السابق ج ١ ص ٢٥ وما بعدها ، لنفس المؤلف : أوربا فى مطلع العصور الحديثة : ج ١ سنة ١٩٦٩ ص ٥٢٦ ؛ أبو الحسن على الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ط ٧ سنة ١٩٦٧ ص ١٤٨ ٠

(١) د٠ جوزيف حجار : أوربا ومصير المشرق العربى ـ حرب الاستعمار على محمد على والنهضة العربية ـ ترجمة بطرس الحلاق وماجد نعمة ـ مراجعة حسن فخر بيروت سنة ١٩٧٦ ص ٢٤ ٠

(٢) عبد العاطى محمد أحمد : الفكر السياسى للامام محمد عبده ص ٢٨ ، ولمزيد من التفاصيل عن المستوى المادى للشيوخ أنظر :

P. J. Vatikiotis, Modern History of Egypt, (London : Weidenfeld and Nicolson 1969), p. 51.

(٣) د٠ على المحافظة : الاتجاهات الفكريـــة عند العرب فى عصر النهضـــة ١٧٩٨ ـ ١٩١٤ م ، الأهلية للنشر والتوزيع ط ٢ سنة ١٩٧٨ بيروت ص ١١ ٠

أى تجديد على هذه العلوم ، وبالتالى لم تكن هناك حاجة ـ من وجهة نظر أغلبهم ـ الى فتح باب الاجتهاد لعدم حدوث تطور وتجديد فى النواحى السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية (١) ٠

ومن جهة أخرى فقد تطور فكر وسلوك الصوفية فى مصر من اسهام أسند الى بعض أقطابها فى حركة الجهاد المسلح ضد الغزوات الصليبية فى العصور الوسطى ، ومن تمتع بعض أقطابها بنفوذ سياسى وجماهيرى واجتماعى كبير فى مصر وخاصة فى القرن السادس عشر كالشعرانى وأبو السعود الجارحى وبركات الخياط ومحمد المغربى ومحمد كريم الدين الخلوتى وزين العابدين البكرى وغيرهم ، تطور ذلك الى غلو فى الزهد والتقشف والتواكل والقناعة بالأوضاع السائدة مما أدى الى اصابة الحركة الاسلامية بالخمول وفتح الباب للزنادقة والملاحدة (٢) ٠

وفى الوقت الذى كانت فيه مصر وبلدان العالم العربى تتدهور من ضعف الى ضعف كانت أوربا تشهد تقدما ملموسا شمل النواحى الاقتصادية والاجتماعية وكان له تأثيره على زيادة النشاط البحرى وبالتالى ازداد دور هذه الدول فى التجارة الدولية ، وكان هذا التقدم دلالة على التقدم العلمى الذى ساد أوربا ـ ونتيجة له ـ منذ عصر النهضة (٣) ٠

---

(١) نادى بعض المشايخ بالتخلص من الجمود والقضاء على البدع ، وصدرت فتاوى لبعض مشايخ الأزهر تدين الطرق الصوفية كفتوى الشيخ على الصعيدى عن عدم شرعية حركات الذكر التى كانت تقيمها الطريقة المطاوعية ،انظر : عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٣٨ ٠

(٢) عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق ص ٣٥٢ ٠

(٣) ماتيور أندرسون : تاريخ القرن الثامن عشر فى أوربة ، ترجمة ، د٠ نور الدين حاطوم ص ١١٠ وما بعدها ٠ ؛ عباس العقاد : محمد عبده ، سلسلة أعلام العرب ص ١٢ ٠

وأمام هذا التقدم الذى شهدته أوربا والذى كان يقابله انحطاط فى الدولة العثمانية اتجه عديد من الآراء فى أوربا للدعوة الى تقسيم تركيا ، ولم يكن جانب التوسع وحده هو الدافع وراء هذه الدعوة بل كان جانب العداء للاسلام والشعوب الاسلامية من العوامل البارزة وراءها ، وهو أمر تؤكده الاتصالات الدبلوماسية فى أوربا فى هذه الفترة ، فقد أرسل « شاتوبريان » رئيس وزراء فرنسا رسالة عن طريق سفيره فى روما الى قيصر روسيا للتفاهم حول تقسيم المقاطعات العثمانية الأوربية قال فيها : « اذا أردتم ـ أى القيصر ـ الذهاب الى القسطنطينية فقوموا مع الدول المسيحية بتقسيم عادل لتركيا الأوربية ٠ أما الدول التى ليست فى موقع يسمح لها بالتوسع من جهة الشرق فتحصل على تعويضات فى مناطق أخرى ٠٠ » ، كما وقعت انجلترا مع روسيا بروتوكول فى سان بطرسبرج سنة ١٨٢٥ م قبل الطرفان بمقتضاه مبدأ التدخل الأوربى فى الامبراطورية العثمانية(١) ٠

وتأتى الحملة الفرنسية على رأس العوامل التى نبهت مصر والعالم العربى لحقيقة ما يدور فى الغرب وما وصلت اليه الحضارة الغربية الحديثة من تقدم اشتمل على المبادىء السياسية والأنظمة الادارية والعلوم والآداب وفنون الطباعة والصحافة وغيرها(٢) ، وقد بدا ذلك جليا فيما قام به نابليون فى مصر حيث أنشأ الدواوين

---

(١) د٠ جوزيف حجار : المرجع السابق ص ٢٧ ويلاحظ اطلاقه الاسم المسيحى لاستانبول وهو القسطنطينية ، فضلا عن أنه قصر التقسيم على الدول « المسيحية » وليست الأوربية وهو أمر يؤكد وجهة نظرنا ٠

(٢) د٠ أحمد حسين الصاوى ـ فجر الصحافة فى مصر ـ القاهرة سنة ١٩٧٤ ص ٢١ وما بعدها ٠

لتعليم المصريين المجالس الشورية وأساليب الحكم(١) · كما أنه أسس مجمعا علميا ومرصدا ومتحفا ومختبرا وأصدر صحيفتين بالفرنسية وثالثة بالعربية(٢) ·

ومـــع أن أغلب ما قامت به الحمـــلة فى السنوات الثـــلاث (١٧٩٨ ـ ١٨٠١ م) التى قضتها فى مصر لم يكن له من أثر سوى اعجاب بعض المصريين حيث لم تحطم كلية مجتمع ما قبل الحملة(٣) ، الا أن ما أدت اليه من هز المفاهيم الفكرية والاجتماعية كان من الواجب أن يثير حفيظة علماء الدين ، فقد كان بوسعهم أن يضعوا تصورهم العصرى سواء لمجلس الشورى الاسلامى أو لغيره من المجالس العلمية التى خلفتها الحملة ، وكان عليهم أن يتنبهوا للأثر الذى نتج عن اكتشاف حجر رشيد وفك رموز اللغة المصرية القديمة ـ وغير ذلك من الأمور التى لم تأت من قبيل الصدفة ـ الذى كان بداية لنمو

---

(١) د· على المحافظة : المرجع السابق ص ٢٣ ·؛ د· أحمد مرغنى : رفاعة الطهطاوى ـ ثقافته وأدبه ـ الباب الأول والثانى ـ المطبعة العصرية ـ الاسكندرية ١٩٧٥ ص ١٣ ، ١٥ · ؛ عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٣٠ · ؛ وعن التأثير الواسع للحملة أنظر : J. Heyworth Dunne :
An introduction to the history of education in modern Egypt p. 96.

(٢) اسم الجريدتين اللتين صدرتا باللغة الفرنسية Le Decade Egyptien وهى جريدة اقتصادية خصصت لنشر أبحاث المجمع العلمى المصرى وكانت تصدر كل عشرة أيام ، والأخرى Le Corrier d'Egypte وهى ناطقة بلسان السلطة الفرنسية وكانت تصدر مرة كل أربعة أيام · أما الجريدة التى كانت تصدر باللغة العربية فهى « التنبيه » لنشر بيانات الحملة على الناس ؛ أنظر د· على المحافظة : المرجع السابق ص ٢٣ ، ٢٤ · ؛ د· مكى شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل مصر والسودان ـ دار الثقافة ـ بيروت سنة ١٩٦٥ ص ١٦٣ ·

(٣) محمد أديب غالب : من أخبار الحجاز ونجد فى تاريخ الجبرتى ـ دار اليمامة سنة ١٩٧٥ ص ٣٦ · ؛ د· عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ص ٣ · ؛ لنفس المؤلف : دراسة لمصادر عربية عن تاريخ مصر العثمانية ص ٦ ، ٧ ·

القومية المصرية وهى الفكرة التى نافست ـ نسبيا ـ سيادة الفكر الاسلامى في مصر منذ نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وكذلك للتغيرات الاجتماعية المناهضة للتقاليد الاسلامية(١) •

ومن هنا سلك محمد على سبيل ارسال البعثات العلمية الى دول أوربا ـ وبخاصة فرنسا ـ ، وأنشأ مدارس ومعاهد على النمط الأوربى كجزء من خطته الرامية الى تحديث دولته(٢) •

هذا على الصعيد الداخلى ، أما من الناحية الخارجية فانه اذا كانت فرنسا ـ ومعها روسيا وانجلترا ـ لم تنجح في اثنائه ـ أى محمد على ـ

---

(١) د• سليمان محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية ١٨١١ ـ ١٨٤٠م ـ مؤسسة تهامة سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ص ١٣ • ؛ د• زكريا سليمان : الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية فى الحياة السياسية المصرية ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة سنة ١٩٧٩ ص ٧ • ؛ محمد أديب غالب : المرجع السابق ص ٣٨ • ؛ د• محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وظهور محمد على ـ مطبعة المعارف ـ بدون تاريخ ص ٦٧ حيث يذكر كيف استطاع بونابرت أن يبذر بذور الشقاق بين المصريين والعثمانيين • ؛ د• على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ـ المكتب الاسلامى ـ سنة ١٩٨٠ ص ١٠٩ حيث يذكر أن عدد علماء الحملة ١٢٢ وهو عدد ليس بالهين • ؛ د• عمر عبد العزيز : المرجع السابق ص ٣ • وهذا لا ينفى دورهم فى الثورة ضد الفرنسيين •

(٢) د• جمال الدين الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة سنة ١٩٥١ ص ٦ • ؛ د• مكى شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل ص ٣٥٩ • وكان الشيخ محمد عبده يرى أن محمد على قد اتخذ من المبعوثين صناعا يصنعون له ما يريد دون تحقيق الفائدة المرجوة على مستوى الشعب ككل • أنظر : عباس العقاد : المرجع السابق ص ٣٠ • ؛ د• أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ص ٢٥٩ حيث يرى أن محمد على رأى أنه من العبث أن يبحث عن الفنيين فى أروقة الأزهر ، وكذلك كان من العسير أن يوجد وبسرعة متعلمين من هذا النوع من الأزهر فاختار سبيل ارسال البعثات الى الخارج • ؛ وانظر أيضا : د• عبد الكريم رافق : العرب والعثمانيون ١٥١٦ ـ ١٩١٦ دمشق سنة ١٩٧٤ ص ٣٩٣ ، ٣٩٥ •

عن مساعدة الدولة العثمانية فى اخماد ثورة المورة التى كان يطمع فى ضمها الى نفوذه وبالتالى تحالفت ضده وحطمت أسطوله فى نوارين البحرية ١٨٢٧ م ، الا أنها قد نجحت فى اشعال الحرب بينه وبين السلطان العثمانى للحصول على سوريا أو بعض جزر البحر المتوسط التابعة لتركيا(١) ، أو توريطه فى مغامرة حربية فى شمال افريقيا لاجهاض قوته العسكرية بشكل يؤدى الى اخراجه كطرف من النزاع فى المسألة الشرقية ، ولكى تنفرد دول أوربا بالدولة العثمانية وتنفرد فرنسا بمصر(٢) .

---

(١) كانت فرنسا وراء صدور صحيفة أسبوعية فى الاسكندرية سنة ١٨٣٣م تسمى « المونيتر اجبسيان ، وفى نفس الوقت أصدر الفرنسيون صحيفة « المونيتر اوتومان Le Moniteur Ottoman التى كانت تهاجم محمد على وكان السفير الروسى فى الآستانة يؤيد هذه الصحيفة . انظر : د. صالح رمضان محمود : الصراع الانجليزى الفرنسى فى مصر ١٨٦٣ – ١٨٨٢م – المؤرخ العربى العدد ٧ سنة ١٩٧٨ ص ٧٦ . ؛ ويرى البعض أن تدمير الأسطول المصرى فى نوارين سنة ١٨٢٧م قد تم وفقا لاتفاق بين بريطانيا ومحمد على انظر : د. سليمان الغنام : المرجع السابق ص ٧١ ، ٧٢ .

(٢) صدر بهذا الخصوص كتاب ل : هـ لوفيرنى Leuvergne بعنوان : « ذكريات من اليونان أثناء الحملة ١٨٢٥م » فى باريس أورد فيه مؤلفه حوارا مع قائد الجيش المصرى الكولونيل سيف (سليمان باشا) أوضح فيه خطط محمد على الذى وصفه المؤلف بالتاجر العظيم ، وكذلك يؤكد صلة القائد العسكرى المصرى بالحكومة الفرنسية انظر : د. جوزيف حجار : المرجع السابق ص ٢٦ – ٣٠ . ؛ محمد رفعت : التوجيه السياسى للفكرة العربية الحديثة ص ٦٠ – ٤٤ . ؛ د. زكريا سليمان : المرجع السابق ص ٨ ؛ د. محمد محمود السروجى : التنافس بين بريطانيا وفرنسا فى البحر المتوسط – المؤرخ العربى – العدد ٤ سنة ١٩٧٧ ص ٢١ . ؛ د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ١٨٧٦ – ١٨٨٢ . دار المعارف سنة ١٩٦٥ ص ١٢ حيث يذكر قول السياسى والمؤرخ الفرنسى دى فريسينيه أن فرنسا « منذ عهد نابليون لم تغمض عينيها عن مصر يوما واحدا » . ؛ د. أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٢٣١ . وعن دفع فرنسا محمد على للتدخل فى الجزائر انظر : د. صلاح العقاد : المغرب العربى ، ص ٨٤ .

وحينما دخلت قوات محمد على سوريا ، وبرغم الاصلاحات التى قام بها ابراهيم باشـــا هناك ، قامت الدول الأوربية ـ عن طريق قناصلها ـ باثارة القلاقل ضده الى أن نجحت فى تحديد مدة بقـــاء القوات المصرية فى سوريا بحياة ابراهيم باشا خشية حدوث خلل فى توازن القوى فى أوربا فى حالة ظهور قوة عربية ، أو بالأحرى قوة اسلامية جديدة(١) ٠

وأما عن موقف محمد على من المشـــايخ فى مصر فلم يعرهم اهتمامه(٢) بعد أن تدهورت أوضـــاعهم الاجتماعية واختفى دورهم السياسى وبخاصة بعد التغيرات الاقتصادية ، كما أنهم لم يكونوا من القوة بشكل يدفعهم الى معارضته ، فارتضوا منه بعدل ظاهر ، بل كان بعضهم عونا له على تحقيق أطماعه التوسعية التى كانت تنطوى ـ فى جوانب منها ـ على اساءات لمفهوم الوحدة الاســـلامية عامة والفكر

---

(١) د٠ جوزيف حجار : المرجع السابق ص ١١٤ وما بعدها ٠ وحتى الدولة العثمانية كانت تخشى بروز قوة مصر ، وهذا يبدو من خلال موقفها من مشروع توصيل البحرين الأحمر والأبيض ٠ أنظر : د٠ محمود صالح منسى : مشروع قناة السويس بين أتباع سان سيمون وفرديناند دى ليسبس القاهرة ســنة ١٩٧١ ص ١٤٢ ؛ د٠ نجلاء عز الدين : العالم العربى ـ ترجمة : محمد عوض ابراهيم وآخرون ، دار احياء الكتب العربية ط ٢ ســنة ١٩٦٢ ص ١٠٧ ٠ ويرى البعض أن بعض الدول الأوربية كانت وراء اثارة القلاقل بين محمد على والسلطان حتى لا تستطيع الدولة العثمانية دعم الجزائر فى مقاومتها للاحتلال الفرنسى ٠ د٠ على حسون : المرجع السابق ص ١٢١ ؛ د٠ عبد الكريم رافق : المرجع السابق ص ٤٠١ ، ٤٠٤ ٠ ؛ د٠ سليمان الغنام : المرجع السابق ص ١٢ ٠

(٢) م٠ أبير ـ التجديد والرجعية وامبراطورية محمد على ـ ترجمة مكى حبيب المؤمن ـ المؤرخ العربى ـ العدد ١٨ سنة ١٩٨١ ص ٢٠٥ ويرى المؤلف أن محمد على كان يحتقر المصريين جميعا ٠

الاسلامى والوطنية المصرية بصفة خاصة(١) • كما أن ذلك فى الوقت نفسه كان دلالة على ما وصل اليه الفكر الاسلامى فى مصر من عجز وافلاس مما دفع أحد شيوخه النابهين وهو الشيخ حسن العطار (١٧٧٦ ـ ١٨٣٥ م) للقول : « ان بلادنا لابد أن تتغير أحوالها ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها » • ويؤكد هذا القول أن حسن العطار قد أدرك أنه لابد من انفتاح ثقافى على الدول الأوربية تمكن البلاد من النهوض وملاحقة التطور الذى لم يتمكن مشايخ الأزهر ـ بما لديهم من علوم ـ من استيعابه(٢) ، كما أدرك العطار أيضا أن مشايخ الأزهر لم يتمكنوا ـ وهم على ما هم عليه ـ من مواصلة جهود علماء المسلمين كجابر بن حيان والحسن بن الهيثم والفارابى وابن ماجد وابن سينا وغيرهم • ولهذا لم تقف حركة التغيير فى نظر العطار عند حد ادخال علوم غربية حديثة بل انه كان يرى من الضرورى أن تسبقها حركة احياء للتراث الاسلامى •

---

(١) د• محمد فؤاد شكرى : مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١ ـ ١٨١١ ، جـ ٣ ص ١٢٣٢ وما بعدها • ؛ د• مكى شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل ص ٥٥٨ حيث يذكر أنه على الرغم مما أداه محمد على لمصر من تطور فى مختلف النواحى الا أنه قتل الروح الشعبية التى شاهدناها أثناء الحملة الفرنسية لاعتلاء منصة الولاية والحكم • ؛ ومع أنه أسس مجلس شورى الا أن الشيوخ أعانوه على أن تكون آراؤه غير ملزمة د• عبد الكريم رافق : المرجع السابق ص ٤٨٠ • طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى اطار الجماعة الوطنية ص ١٠ ، ١٢ •

(٢) الذى يتابع تاريخ الجبرتى وهو من كبار مشايخ الأزهر يدرك أنه لم يتمكن من استيعاب ما شاهده من العلوم الفرنسية وخاصة فى الكيمياء والطبيعة وغيرها من العلوم التجريبية ، وعلق على ذلك بقوله : « ولهم فيه أمور وأحوال وتراكيب غريبة ينتج منها ناتج لا يسعه عقول أمثالنا » أنظر : عبد الرحمن الجبرتى : المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٣٦ • ؛ عباس العقاد : المرجع السابق ص ٥٦ • ؛ د• محمود اسماعيل : رفاعة الطهطاوى ، فكره الاجتماعى والسياسى ص ١٣١ ومابعدها • ؛ عبد العاطى أحمد : المرجع السابق ص ٣٢ •

وجاء الشيخ رفاعة الطهطاوى (١٨٠١ ـ ١٨٧٣) ليواصل طريق أستاذه « حسن العطار » وهو الطريق الذى لم يحظ بتأييد المحافظين من أتباع الفكر الاسلامى ، على أن الطهطاوى قد تأثر بالفكرة الوطنية وغيرها من الأفكار الاجتماعية السائدة فى فرنسا ، فعاد بعد ابتعاثه (١٨٢٦ ـ ١٨٣١م) لينشر ما يزكى هذه الأفكار سواء فى شعره أو فى الكتب التى قام بترجمتها بعد توليه الاشراف على مدرسة الألسن(١) • ويرى البعض أنه اذا كان الطهطاوى قد طرح ـ فيما طرح ـ مفهوما مقبولا للمواطنة (حب الوطن من الايمان) الا أنه لم يحاول دمجه بالفكرة الاسلامية أو تحديده من خلالها الأمر الذى يدعو للقول بأنه قد جنح بالوطنية الى القومية المتعصبة(٢) • ويؤيد البعض الآخر هذا الاتجاه عند الطهطاوى حيث كان يعتبر أن حب الوطن هو الطريق الصحيح لبناء المجتمع الصالح ، والوطنية هى الرابطة التى تشد النظام الاجتماعى الى بعضه ، وقد دلل رفاعة على شدة تأثره بهذه الأفكار فيقول : « وارادة التمدن للوطن لا تنشأ الا عن حبه من أهل الفطن كما رغب فيه الشارع ففى الحديث حب الوطن من الايمان •••• ، وقال بعض الحكماء لولا حب الوطن لما عمرت البلاد الغير مخصبة ، وقال الأصمعى دخلت البادية فنزلت على بعض الأعراب فقلت له أفدنى فقال اذا أردت أن تعرف وفاء الرجل

---

(١) محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على ـ دار الفكر العربى سنة ١٩٤٨ ص ١١٢ وما بعدها • ومن أهم الكتب التى قام الطهطاوى بترجمتها : « تاريخ مصر والعرب قبل الاسلام » وله كتب عن « التمدين والحضارة والعمران » ، « السياسة والوطنية والتربية » ، الى جانب مجموعة من القصائد التى أسماها « منظومات وطنية مصرية » ، « وطنيات » وغير ذلك من الكتب • أنظر : د• محمود اسماعيل : المرجع السابق ص ١٣٠ ؛ د• أحمد مرغنى : المرجع السابق ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٥ ؛ د• عبد الكريم رافق : المرجع السابق ص ٤٨٥ •

(٢) د• محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر جـ ص ٦٧ ، ١٠٧ • ؛ د• على المحافظة : المرجع السابق ص ٢٥ •

وحسن عهده ومكارم أخلاقه وطهارة مولده فانظر الى حنينه لأوطانه وشوقه الى اخوانه(١) » .

وينبغي الاشارة الى جهود الطهطاوى وسعيه لاصلاح الأزهر بادخال العلوم العصرية ضمن دراساته ، واعادة النظر فى مناهج المواد المدرسة فيه حيث بدأ بنفسه فأعد كتبا لتدريس اللغة العربية على أسس جديدة ، وكذلك دوره فى العمل على احياء التراث الاسلامى الذى بدا فى جهوده المكثفة التى كانت وراء طبع كثير من المخطوطات لأعلام الاسلام كالرازى والحريرى وغيرهما ، كما أن رسالته « القول السديد فى الاجتهاد والتقليد » تعبر عن رغبته فى ضرورة احياء التراث من خلال رؤيا جديدة وفتح باب الاجتهاد الذى يمكن المسلمين من الوصول الى نظريات ونظم عصرية تساير ما شاهده فى أوربا(٢) .

ومن ناحية أخرى فانه لا ينبغى مجاراة من يحاول تفسير فكر الطهطاوى السياسى والاجتماعى ونظرته الاصلاحية الشمولية بأنها قد تأثرت بتيارات الفكر الأوربى من أقصى اليمين الى أقصى اليسار ، بل ينبغى أن يرجع ذلك الى تأثره فى المقام الأول بالفكر الاسلامى الصحيح الذى يؤمن بالنظرة الشمولية وان كان الفضل فى ادراكه لأبعاده الاصلاحية راجع الى اطلاعه على التيارات المختلفة فى الفكر الأوربى والتى بدت فى اعجابه بأفكار الحرية والمساواة كما ظهرت فى أوربا ، وتشجيعه للعقل والدعوة الى الحرية الفكرية(٣) . كما أنه

---

(١) د .عبد الكريم رافق : المرجع السابق ص ٤٨٦ .

(٢) د. محمود اسماعيل : المرجع السابق ص ١٣٥ . ؛ عباس العقاد : المرجع السابق ص ٦٥ ؛ د. أحمد مرغنى : المرجع السابق ص ٣٨ وما بعدها . ؛ د. جمال الدين الشيال : المرجع السابق ص ١٢٠ وما بعدها .

(٣) د. محمد محمد حسين : الاسلام والحضارة الغربية ـ المكتب الاسلامى بيروت سنة ١٩٧٩ ص ٣٦ وما بعدها .

اذا كانت الظروف السياسية في مصر قد حجبت ـ الى حد كبير ـ الميول الديمقراطية لدى الطهطاوى والتى تأثر بها خلال زيارته لفرنسا ، وجعلته يغلب الأوتوقراطية عليها ، فانه لا ينبغى ارجاع ذلك الى تأثر الرجل بآراء مونتسكيو وغيرها من الآراء التى تدعو الى تقويض الديمقراطية بل ينبغى ارجاعها الى مفهومه ـ المتأثر بالواقع السياسى ـ لنظام الحكم الاسلامى(١) ٠

ولقد تبع الطهطاوى كثيرون ممن زكوا الاتجاه الى الوطنية ودعوا الى الاستفادة من منجزات الحضارة الغربية كعلى مبارك وابراهيم أدهم وصالح مجدى ومحمد عثمان جلال وعبد الله أبو السعود وعبد الله فكرى وغيرهم(٢) ، وان كان أغلبهم أقل حماسا من الطهطاوى فى ربط اتجاههم بالتراث الاسلامى ٠ كما أن هذه الفئة التى حملت لواء الثقافة فى عهد الخديو اسماعيل كان من الصعب عليها أن تحقق الاستقلال الفكرى ، بل ظلت فى اطار الالتزام الذى ارتضته الدولة ، وبالتالى ظل هدفها محصورا فى تخريج كوادر لخدمة الدولة بدلا من تبصير الناس الى حقوقهم السياسية والاجتماعية الا فى اطار ضيق ، ومع ذلك كانت تثير بفكرها الجديد الاتجاه الفكرى التقليدى ـ ولا نقول الاسلامى ـ الذى كان عليه أغلب مشايخ الأزهر(٣) ٠

ويأتى أثر الارساليات التبشيرية فى المرتبة التالية بعد البعثات

---

(١) عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٤٢ ٠

(٢) د٠ شوقى ضيف : فصول من الشعر ونقده ـ القاهرة سنة ١٩٧١ م ص ٢٧٨ ـ ٢٨٠ حيث يذكر دور محمد عثمان جلال فى الدعوة الى العامية متأثرا بالثورة على اللاتينية التى رآها فى فرنسا ٠ ؛ وانظر أيضا د٠ عبد الكريم رافق : المرجع السابق ص ٤٩١ حيث يذكر قيام محمد جلال بترجمة القصص الغربية وتمصيرها كمسرحية موليير التى عربت باسم (الشيخ متلوف) ، فضلا عن دور فرق التمثيل المسرحية التى جاءت من بلاد الشام ٠

(٣) عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٤٣ ، ٤٤ ٠

العلمية(١) ، فمع أن مصر لم تكن مقصد هذه الارسااليات وأن أغلبها قد تركز فى بلاد الشام التى أسس فيها المبشرون عديدا من مدارسهم، الا أن هجرة كثير من المفكرين الشوام المتأثرين بفكر هذه المدارس الى مصر فى القرن التاسع عشر قد أثر تأثيرا قويا على اتجاه فكرة القومية العربية المناوئة لفكرة الجامعة الاسلامية وعلى الترويج للاتجاه العلمانى فى أواخر هذا القرن(٢) ٠

ومع أن مصر قد شهدت نتيجة ذلك حركة فكرية واسعة عالجت فروع العلم المختلفة فى الغرب وبصرت المثقفين المصريين بحقيقة هذه العلوم ، الا أن أغلب هذه التراجم قد زكت الفكرة القومية باتجاهيها المحلى والعربى لدى أغلب المثقفين على حساب الفكرة الاسلامية (٣) ٠

---

(١) على الرغم من أن الارساليات التبشيرية قد بدأت تفد الى بلاد الشام منذ القرن السابع عشر الا أن تأثيرها على مصر كان فى منتصف القرن التاسع عشر وذلك بعد هجرة كثير من الصحفيين والمترجمين والمفكرين الشوام الى مصر ٠

(٢) أسس المبشرون العازاريون مدرسة عنيطورة سنة ١٨٣٤م ، ثم أسس القس الأمريكى وليم طوسون مدرسة فى بيروت ، وكذلك أسس الدكتور كرنيليوس فانديك مدرسة عالية فى عبيه فى لبنان ٠ وفى سوريا أسس المبشرون البروتستانت (الكلية السورية) سنة ١٨٤٧م ، كما أنشأوا الجمعية السورية فى بيروت والتى كان من أعضائها ناصيف اليازجى وبطرس البستانى والدكتور ميخائيل مشاقة وميخائيل مدور ونعمة ثابت والمستشرقون منصور كرلتى وتشرشل ٠ ، وأنشئت فى سوريا ست مدارس بعـــد عام ١٨٦٠م ضم بعضها المسلمون ونالت اعتراف الدولة العثمانية (الجمعية العلمية السورية) ٠ د٠ على المحافظة ـ المرجع السابق ص ٢٥ وما بعدها ؛ عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٤٥ ٠

(٣) تولت هذه التراجم نشر المفاهيم السياسية الغربية عن الحرية والدساتير ، ومن أهم رواد هذا المجال « فتحى زغلول » الذى ترجم « روح الاجتماع » لجوستاف لوبون و « مبادىء التشريع » لبنتام ، وكذلك أحمد لطفى السيد ٠ وكان أغلب هؤلاء متأثرين بالاتجاه الليبرالى ٠ أنظر : عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٤٦ ؛
Nadav Sa,fran : Egypt in searc hof political community (Cam-bridge : Harvard university Press 1961 p. 58.

وكان هذا فى الوقت نفسه يدل على مدى الضعف الذى انتاب الفكر الاسلامى وعلى فقد أتباعه للميزان الاسلامى العصرى للتعامل مع هذه التيارات الحضـــارية الوافدة والقالب الذى تصب فيه لتأخذ طابعا اسلاميا قوميا مميزا. وبرغم ذلك ظلت الروح الاسلامية مشتعلة لدى غالبية الشعب المصرى من مجددين ومحافظين ، ولا ترضى بديلا عن الالتفاف عن الخلافة فكرة ودولة ومن الأمور التى ســاعدت على ذلك الاعتداءات المتكررة على الاسلام والمسلمين من الدول الأوربية ، فنجد روسيا تستمر فى اثارتها للقوى المسيحية الخاضعة لسلطان الدولة العثمانية وتمدها بالسلاح ، وحين تضطر تركيا لمحاربة روسيا يتخلى المسيحيون التابعون لها عن مساعدتها مما أدى الى حدوث مجازر بين المسيحيين والمسلمين فى البلقان ، ومجازر أخرى فى اخمــاد ثورة الأرمن . ولم يجد السلطان عبد الحميد من بد أو مخرج سوى أن يرفع شعاره « يا مسلمى العالم اتحدوا » (١) .

وجاءت الاستجابة فى صوت الافغانى لينبه الغافلين من أتباع الاتجاه الاسلامى الى حقيقة وضعهم وحقيقة ما يراد بهم ، ويحثهم على ضرورة تنظيم صـــفوفهم وتوحيدهـــا والنهـــوض لنصرة دينهم وأوطانهم(٢) .

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ . ؛ د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، جـ١ ص ١٨ ، ١٩ .

(٢) اختلف الباحثون فى أصل السيد جمال الدين الأفغانى ، فقد ذكر الشيخ محمد عبده أنه افغانى ، فى حين ذكر الشيخ مصطفى عبد الرازق أنه فارسى الأصل أفغانى النشأة . وذكر الدكتور محمد حسين فى كتابه «الاسلام والحضارة الغربية» أنه فارس الأصل مستندا فى ذلك الى كتاب «ميرزا غلام» أستاذ اللغة الفارسية فى الجامعة الأمريكية ببيروت فى كتابه (مردان نامى الشرق) الصادر عام ١٩٢٩ م حيث يذكر أنه ولد فى قرية أسدباد بين همزان وكتكارد على ضفاف نهر الوندو أنه شيعى المذهب وليس سنيا كما كان يعلن عن نفسه . على أننا نرى أنه اذا كان جمال الدين قد أخفى

وكان صوت العروة الوثقى منذ بداية صدورها سنة ١٨٨٤ م تلبية حقيقية لمشاعر الغضب لدى أغلب المثقفين المسلمين ، ويبدو ذلك من خلال مهاجمتها للحكام المسلمين الذين حادوا عن الأخـذ بأحكام الشريعة الاسلامية فى حكمهم ، وكذلك الذين يقللون من شأن العصبية الدينية ويمجدون التعصب للوطن على حسابها وتتهمهم بالغفلة وبأنهم أبواق المستعمر ، وتؤكد بأن المستعمرين الغربيين هـم أكثر الناس عصبية لدينهم فى كل ما تجرى عليه سياستهم ٠ وكتب مصطفى كامل فى كتابه « المسألة الشرقية » مؤكدا أنها ـ أى المسألة الشرقية ـ هى النزاع المستمر بين الاسلام والنصرانية وأنها بالتالى استمرار للحروب الصليبية(١) ٠

وما ان تنبه الرأى العام الاسلامى فى مصر كنتيجة لدعـــوة السيد جمال الدين الا وكان الاستعمار البريطانى جاثما على صـــدر البلاد ، ولهذا انحصرت جهود أتباعه فى الاطار السياسى للبحث عن كيفية تحرير البلاد من هذا الاحتلال دون أن يسلكوا السبيل الشمولى فى الاصلاح الذى يتمشى وحقيقة الفكر الاسلامى ٠ وبمعنى آخر ان

= أصله أو مذهبه فان ذلك ليس مقياسا للحكم عليه ولاسيما أنه قد درس المذهب السنى وأثبت قناعته به ، كما أنه سعى لانهاض الشعوب الاسلامية شيعية أو سنية من جهة والى محاولة التقريب بين هذه الشعوب عن طريق التقريب بين المذهبين من جهة أخرى ٠ د٠ محمد حسنين : الاسلام والحضارة الغربية ـ ص٦٣ ٠؛ د٠ مكى شبيكة : المرجع السابق ص٥٥٩ ٠ ؛ د٠ ابراهيم العدوى : رشيد رضا ص٦٠ ٠ وذكر أن جمال الدين ينتسب للحسن بن على ٠ ! د٠ على عبد الحليم محمود : جمال الدين ص ٤٥ ٠ ؛ د٠ ماجد فخرى : تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٤٥٩ ٠ ؛ عبد الرحمن الرافعى جمال الدين ص ٥ ٠ ؛ عبد المنعم شميس : سفير الله جمال الدين ص ١١ ٠ ؛ صادق نشأت وعبد المنعم حسنين : جمال الدين الأسد بادى ص ٧ ، ٨ ٠

(١) د ٠ محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية جـ ١ ص ٢١ ، ٢٢ ٠ ؛ رشيد رضا : تاريخ الأســتاذ الأمام ، جـ ٢ ص ١٧٩ ، ٢٨٢ ٠ ؛ د ٠ عبد الكريم رافق : المرجع السابق ص ٤٩٣ ٠

صحوة الاتجاه الاسلامى التى نتجت عن تطور الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى مصر والتى نبهت اليها دعوة السيد جمال الدين الأفغانى قد انحصرت فى الاطار السياسى الذى يرمى الى تخليص مصر من الاحتلال البريطانى(١) ، دون الالتفات الى الاصلاح الاجتماعى والاقتصادى بحيث، تكون صحوة شاملة وبحجة أن الاصلاح فى هذه الجوانب لن ير طريقه الى النور فى ظل الاحتلال « لأن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » وبالتالى لم يهتموا حتى بالاطار النظرى الفكرى الذى يطرحون من خلاله تصوراتهم للاصلاح ، أو الميزان الاسلامى الذى يتعاملون به ومن خلاله مع النظريات الفكرية الوافدة ٠

واذا كان الشيخ محمد عبده قد حاول أن يعالج هذه الجوانب أو بعضها ، الا أن سلوكه وثقافته وأسلوبه لم يكن بالسلوك ولا الثقافة ولا الأسلوب المرضى عنه لا من قبل المحافظين من أتباع التيار الاسلامى فحسب بل ومن المجددين ـ الا القلة ـ منهم كذلك ٠ فقد رفض المحافظون الأخذ عن الحضارة الغربية وطالبوا بالعودة الى القديم واعتبروا أن من يحيد عن ذلك خارج عن تعاليم الشريعة الاسلامية ٠ أما المجددون فقد طالبوا بالانفتاح الكامل على الحضارة الغربية لازالة الجمود الذى انتاب الفكر الاسلامى ، وحاول أتباع هذا الاتجاه أن يوضحوا العلاقة الوثيقة والصحيحة بين الدين والعلم ٠ على أن هناك فئة من المجددين قد غالت فى دعواها حيث أخذت بالمذهب العلمانى الذى يدعو للحد من سلطان الدين باعتباره ـ وبالمفهوم الغربى ـ علاقة بين العبد وربه ، ويدعو فى الوقت نفسه الى تقديم

---

(١) د ٠ محمد البهى : الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ٠ ص ٦٧

فلسفة للحيـــاة تستلهم أفكارها من الحضـــارة الغربية والعلوم العصرية(١) ٠

وكان من الممكن أن تؤثر أفكار المجددين المعتدلين فى المجتمع المصرى لولا تلك النظرة العدائية التى تملكت أتباع الاتجاه الاسلامى وغالبية المثقفين المصريين والشعب المصرى من الغرب المستعمر الذى أعاد الى الأذهان تاريخ العداء بين الشرق والغرب فى الحروب الصليبية، واعتبروا أن التسليم بتقدم الغرب مهما كان يحمل روحا انهزامية ، وأن القوة الحقيقية تكمن فى العودة الى القديم قيما وتراثا ، ورآها البعض من المجددين المعتدلين خروجا من الجمود والتخلف والأخـــذ بأسباب الحضارة مع الاحتفاظ بلب التراث والقيم لامكانية المقاومة ، وقد مثل هذا الجناح الشيخ محمد عبده ٠

(١) عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٤٧

النشأة ودورها

هو محمد عبده بن حسن خير الدين المصرى ، ولد فى قرية شنيرا (شبشير) من قرى مديرية الغربية . ونشأ فى «محلة نصر» احدى قرى مركز شبراخيت بمديرية البحيرة سنة ١٢٦٦هـ (١٨٤٩م) حيث نشأ والده ونشأت أسرته من قبله(١) .

« ومحلة نصر » شأنها شأن غيرها من القرى المصرية اختلطت حياة أهلها « بتفاتيش » الزراعة ، وتعرضت لتقلب أحوال الولاة والحكام ، وعانت من الأمراض والأوبئة ، وفوق هذا وذاك كان لها طابعها الدينى الذى كان يمثل الدافع الأول فى أغلب القرى المصرية على دفع الظلم ومقاومة الطغيان الذى مارسه كبار الملاك .

---

(١) اختلف المؤرخون فى مولده حيث يذكر الدكتور عثمان أمين فى كتابه (الامام محمد عبده رائد الفكر المصرى) أنه ولد سنة ١٨٤٩م ويتفق معه أحمد أمين فى كتابه (زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ص ٢٨) ، وعلى المحافظة فى كتابه (الاتجاهات الفكرية عند العرب ص ٨٠) فى حين يذكر عبد المتعال الصعيدى فى كتابه (المجددون فى الاسلام) أنه ولد فى سنة ١٨٤٥ م ، وان كان الجميع يتفقون على أن مولده سنة ١٢٦٦ هـ . أنظر أيضا : خير الدين الزركلى الاعلام ـ قاموس التراجم لأشهر الرجال جـ ٧ ط ٣ ص ١٣١ ـ بيروت . ؛ عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ـ تراجم مصنفى الكتب العربية جـ ١٠ ـ مكتبة المثنى ـ لبنان ص ٢٧٤ . ؛ د. عبد الكريم رافق : المرجع السابق ص ٤٩٤ .

وعلى الرغم من أن محمد عبده كان ينتمى الى أبوين أمين وأسرة متوسطة الحال شأنها شأن العائلة التى تنتمى اليها وهى عائلة « التركمانى » ، الا أن هذه العائلة كانت كريمة مهابة الجانب وهى صفات تؤكدها ملكيتها لبيت كبير لا باب له كما كان شأن العائلات الكبيرة فى القرية المصرية • ويروى الشيخ محمد عبده من ذكريات طفولته ما يؤكد هذا حيث يذكر أن الكبراء من زوار القرية كانوا يقصدون بيت أبيه ضيوفا دون بيت العمدة الذى كان أغنى من أبيه وأقرب الى مكان الرئاسة فى القرية • ومن بين ما اشتهرت به هذه الأسرة أيضا حب الفروسية وحمل السلاح ، وعلى الرغم من تعرضها بسبب ذلك للمطاردة والسجن الا أن بعض رجالها ـ ومن بينهم أبيه وهو نفسه بعد ذلك ـ لم يقلعوا عن هذه العادات التى اضطروا بسببها للهجرة الى قرى أخرى أكثر أمنا(١) •

أما عن أمه « جنينة بنت عثمان الكبير » فقد أرجع الشيخ نسبها الى بنى عدى فى صعيد مصر وهم منتسبون الى فرع عمر بن الخطاب رضى الله عنه من قريش وهو نسب لم تؤكده أدلة كما ذكر هو ، وقد وصفها بأنها كانت ترحم المساكين وتعطف على الضعفاء •

أما عن الشيخ فقد تلقى تعليمه فى بيته على طريقة الكتاتيب القديمة دون أن يذهب الى « الكتاب » • وبعد أن حفظ القرآن على يد حافظ خاص وأتمه فى سنتين ، أرسله أبوه الى المسجد الأحمدى بطنطا ـ وكان ذلك فى عام ١٨٦٢ م ـ ليجود القرآن ويستكمل تعليمه

---

(١) العقاد : عبقرى الاصلاح ، ص ٧٥ • ؛ طاهر الطناحى : مذكرات الامام محمد عبده ـ القاهرة ـ دار الهلال ـ بدون تاريخ ص ٢٢ • ؛ قدرى قلعجى : محمد عبده بطل الثورة الفكرية فى الاسلام ، ط ٢ بيروت سنة ١٩٥٦ ص ١٧ • ؛ مصطفى عبد الرازق : محمد عبده ص ١٤ •

تمهيدا لدخول الأزهر(١) . وعلى الرغم من أن المسجد الأحمدى كان معهدا دينيا يلي الأزهر فى المكانة الا أنه كان يعج بالطرق الصوفية وهو أمر كان له تأثير كبير على تعليمه . ويروى الشيخ بقلمه العقبات التي واجهته في طنطا فيقول : « وفي سنة مائتين واحدى وثمانين هجرية جلست فى دروس وبدأت بتلقى شرح الكفراوى على الأجرومية فى المسجد الأحمدى بطنطا ، وقضيت سنة ونصفا لا أفهم شيئا لرداءة طريقة التعليم ، فان المدرسين كانوا يفاجئوننا باصطلاحات نحوية أو فقهية لا نفهمها ، ولا عناية لهم بتفهيم معانيها لمن لم يعرفها ، فأدركنى اليأس من النجاح وهربت من الدروس ، واختفيت عند أخوالى مدة ثلاثة أشهر ، ثم عثر على أخى فأخذنى الى المسجد الأحمدى وأراد اكراهى على طلب العلم ، ولم يبق على الا أن أعود الى بلدى وأشتغل بملاحظة الزراعة كما يشتغل الكثير من أقاربى ، وانتهى الجدال بتغلبي عليه فأخذت ما كان لى من ثياب ومتاع ورجعت الى «محلة نصر» على نية ألا أعود الى طلب العلم ، وتزوجت (١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م) على هذه النية » . (٢)

ويظل الشيخ على عزوفه عن طلب العلم حتى يقع تحت تأثير أحد أخوال أبيه وهو الشيخ درويش(٣) ، وكان الشيخ درويش رجلا متصوفا حيث أخذ الطريقة الشاذلية عن السيد محمد المدنى (الليبى) الذى التقى به بسبب رحلاته الى صحراء ليبيا ، وفى نفس الوقت تأثر (أى الشيخ درويش) بمبادىء سلفية تضمنتها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدعوة السنوسية(٤) ، وكان يحفظ

(١) عبد الحليم الجندى : الامام محمد عبده ص ٧ .
(٢) العقاد : المرجع السابق ٨٥ ، ٨٦ .
(٣) كان الشيخ درويش يعيش فى قرية لهم هى قرية « كنيسة أورين » .
(٤) أحمد أمين : زعماء الاصلاح ص ٢٩ . ؛ عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٦٦ .

(الموطأ) وبعض كتب الحديث ويجيد حفظ القرآن وفهمه ، وقد تمكن هذا الشيخ بحلمه وعلمه أن يثنى محمد عبده عن احجامه عن القراءة وطلب العلم . ويذكر محمد عبده مدى تأثره بهذا الرجل فيقول : « لم أجد ما يرشدنى الى ما وجهت اليه نفسى الا ذلك الشيخ الذى أخرجنى فى بضعة أيام الى فضاء المعرفة ، ومن قيود التقليد الى اطلاق التوحيد » (١) . وعن الرسائل التى قرأها عند الشيخ درويش وبتوجيهه يقول : « كانت هذه الرسائل تحتوى على شىء من معارف الصوفية وكثير من كلامهم فى آداب النفس وترويضها على مكارم الأخلاق وتطهيرها من دنس الرذائل وتزهيدها فى الباطل من مظاهر هذه الحياة الدنيا » (٢) . ولم تمض أيام قليلة الا وسأل الطالب شيخه « ما هى طريقتكم ؟ فقال طريقتنا الاسلام ، فقلت أو ليس كل هؤلاء الناس بمسلمين ؟ قال : لو كانوا مسلمين لما رايتهم يتنازعون على التافه من الأمر ، ولما سمعتهم يحلفون بالله كاذبين بسبب وبغير سبب » . وقد كان لذلك وقع كبير عليه يصفه بقوله : « أحرق جميع ما كان عندى من المتاع القديم .... متاع تلك الدعاوى الباطلة ، والمزاعم الفاسدة ، متاع الغرور بأننا مسلمون ناجحون ، وان كنا فى غمرة ساهية » . وظل تأثير الشيخ درويش عليه حتى بعد انتقاله للتعليم فى الأزهر (١٨٦٦ هـ) حيث كان يعرض عليه فى الأجازة الصيفية ما درس من علوم حتى انتقل التأثير الى السيد جمال الدين الأفغانى(٣) .

(١) العقاد : المرجع السابق ص ٩٠ ؛ د. عثمان أمين : رائد الفكر المصرى ، ص ٣٤ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ص ٩٢ . ويقول الشيخ محمد عبده أنه كان يعرض ما تعلمه من السيد جمال الدين على الشيخ عليش الذى كان يبارك الاتجاه للعلم ويكره الجهل والشعوذة أنظر : محمد رشيد رضا : تاريخ الاستاذ ـ جـ١ ص ٢٥ .

على أنه قد وقع تحت تأثير رجل آخر ـ حينما سافر الى الأزهر في مصر ـ من علماء التجديد وهو الشيخ حسن الطويل ، ذلك الرجل الذى لم يحظ باهتمام رجال الأزهر والمؤرخين كذلك ، ويبدو أن السبب فى ذلك راجع الى زهد الرجل من ناحية ، وتدريسه للفلسفة والمنطق من ناحية أخرى وهو أمر دعا رجال الأزهر لاتهامه ـ وتلاميذه ـ بالزندقة والخروج عن الجادة(١) ٠

ومن الشخصيات التى أثرت فى فكر الشيخ محمد عبده والتى كانت تمثل ما يدور في ذهنه من صراع بين المجددين والمحافظين شخصية الشيخ « عليش » ذلك الشيخ الذى كان معروفا بجموده والذى سعى لقتل الشيخ السنوسى بسبب أن الأخير كتب فى مؤلف له أنه « يجتهد بعلمه فى فهم الشريعة من كتاب الله ، غير متقيد بما كتبه الفقهاء من المتأخرين أو المتقدمين » ، ولم يستطع أن ينفذ رغبته فى قتل الرجل بسبب سفره(٢) ٠ وحينما حبس محمد عبده بعد الثورة العرابية وبسببها قال البعض ممن سماهم صاحب المنار ب « المغرورين » أنه حبس كرامة للشيخ عليش لأن الشيخ عليش كان يكرهه ، وكان الشيخ عليش فى ذلك الوقت محبوسا هو الآخر ، فلما بلغ ذلك الكلام محمد عبده علق قائلا : حبس كل منا فلماذا يعتبر الحبس كرامة لواحد وانتقاما من الآخر ؟ ، وكان هذا له دلالة على سخرية محمد عبده من مثل هذه الأفكار ٠

---

(١) أحمد أمين : زعماء الاصلاح ص ٢٩١ ٠ ؛ عباس العقاد : المرجع السابق ص ١٠٣ ٠ ؛ أحمد الشايب : محمد عبده ص ٢١ ٠ ؛ عبد الحليم الجندى : المرجع السابق ص ١٥ ٠

(٢) عباس العقاد : المرجع السابق ص ١٠٢ ٠ ؛ محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ ج ١ ص ح ٠ وقد تلقى العلم على يد شخصية جامدة أخرى هى شخصية الشيخ القصير وهو الشيخ أحمد الرفاعى وكان قصير القامة ، ويصفه صاحب المنار بانه كان أشد الأزهريين جمودا ٠

ومن الممكن أن نستدل على أثر هـــذه المؤثرات التى عاصرت محمد عبده على تكوين فكر الرجل ومزاجه ، ففرضه رأيه على أبيه وأخيه دليل على الارادة القوية والايمان بالحرية الشخصية وقراءاته عن الصـــوفية وتربيته على يد رجالها ثم دراسته للفلسفة والمنطق وعلم الكلام ومعرفته بأصول السلف كل ذلك قد حفزه على اعلان الحرب على الجمـــود والعلوم التقليدية فى الأزهر ، ويؤكد ذلك ما ذكـــره الدكتور عثمان أمين من أنه قد أمضى ثلاث سنوات فى الأزهر دون أن يجنى فائدة تذكر ، وكان من نتيجة ذلك أن « انقطع عن الدرس فى الأزهر ليمارس ضروب الزهد والرياضة ويحاول أن يعتزل العالم ويفر من الناس » (١) • ويذكر رشيد رضـــا أن محمد عبده تربى تربية صحيحة الا ما كان من غلو فى العبادة ، فقد مكث زمنا طويلا لا يكلم أحدا وزمنا أطول من ذلك الزمان لا ينظر الا الى الأرض ولا يهتم الا باصلاح نفسه(٢) • لكن الشيخ « درويش » عاد ليعلمه أن الصوفية ــ بمفهومه ــ شىء غير الجذب والتواكل وغير الكســـل والزهد فى أعمال المعيشة ، وكان يضرب المثل لتلميذه بنفسه حيث يعمل فى الزراعة ولا يستغنى عن « فأسه » يوما ، واصطحبه معه فى المجتمعات وكان يحثه على اصلاح من حوله(٣) • وللاجابة على السؤال لماذا ضاق محمد عبده بطريقة التعليم فى المسجد الأحمدى ؟ ولماذا أحب

---

(١) عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الاسلام ص ٤٢٠ وما بعدها حيث يرجع تاريخ الصراع بين المتصوفة وعلماء الأزهر الى أواخر العصور الوسطى وبخاصة فى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى (أو القرن الثامن عشر الميلادى) • ؛ د• عثمان أمين : المرجع السابق ص ٣٤ ، ٣٥ ويذكر أن الشيخ درويش قد أخرجه من هذه العزلة • ؛ عبد الحليم الجندى : المرجع السابق ص ٩ • ؛ مصطفى عبد الرازق : محمد عبده ص ١٩ •

(٢) المنار : ج• ١٠ م ١١ ص ٧٤٠ •

(٣) العقاد : المرجع السابق ص ٩٩ • ؛ أحمد أمين : المرجع السابق ص ٢٩٠ •

الشيخ « درويش » وآحب طريقة الشيخ « حسن الطويل » وضاق بالشيخ « عليش » ؟ . لقد ضاق الشيخ بطريقة « الآذان والذاكرة » ومال الى طريقة « الذهن والوجدان » (١) ، وطريقة « الآذان والذاكرة » كانت طريقة التعليم في المسجد الأحمدى والأزهر حيث كان « المعلم يبتدىء بتدريس النحو لجمع من التلاميذ الذين يجهلون كل شيء عنه ، فيلقى عليهم في أول درس ومن أول صفحة اعراب : بسم الله الرحمن الرحيم ، ويحدثهم عن حرف الجر وعن الاسم المجرور وعن المضاف والمضاف اليه وعن النعت ومطابقة الوصف للموصوف ، كأنهم قد فرغوا من دروس العربية كلها قبل أن يقرأوا البسملة على بابها الأول .. فمن وعى ما سمع فقد أدركته بركة العلم والمسجد ، ومن لم يع شيئا مما سمع فذلك عندهم مطموس محجوب عن البركة والفائدة » ، وهذه الطريقة يخاطب شيوخها فى تلاميذهم « أذنا تسمع الكلمات وذاكرة تثبتها كما هى وتعيدها كما سمعتها ولا يعنيهم منه بعد ذلك أن يكون له ذهن يفهم ويتصرف فيما يفهم ، أو وجدان يستضىء بنور المعرفة المفهومة ويستلذ الشعور بما وعاه منها » (٢) .

وقد وصف العقاد الطالب الذى ارتضى هذه الطريقة بأنه طالب « مغلق الذهن عن كل معرفة مفهومة وغير مفهومة ، فهو عاجز عن الاستماع الى ما يفهم ومالا يفهم مما يلقى على أذنيه ، فلا يلبث بعد معالجة الحفظ والمراجعة زمنا أن يسلم الأمر تسليم اليائس لأنه من أولئك المطموسين الذين « لم يفتح الله عليهم » وليس لهم من العلم نصيب مقدور » (٣) .

وبصفة عامة فقد اتفق محمد عبده مع الذين يرون بأن طريقة

---

(١) مجيد خدورى : الاتجاهات السياسية ص ٧٣ .

(٢) العقاد : المرجع السابق ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٣) العقاد : المرجع السابق ص ٩٧ .

التعليم فى الأزهر ـ وفى هذا كان متأثرا بنشأته ـ كانت فى أغلبها جامدة وعقيمـة ومحصـورة فى مختصرات لا تفهم وشروح وحواش وتقارير ، كما أنها لم تكن تتصل فى أغلبها بالحياة اليومية الا فى اطار العبادات ، فضلا عن أن أغلب مشايخ الأزهر ـ كما رآهم البعض ومن خلال هذه العلوم التى مازالت تدرس ـ لا يشعرون بما أصاب الاسلام والمسلمين من تدهور، وانحصرت أهميتهم على أنفسهم كأنما هم « رهبان فى دير » (١) ، ففقد الأزهر فيهم وبهم أهميته وانهارت مكانته ٠ وكانوا فى حربهم للتجديد انما يدافعـون عن مصـالحهم وجاههم لا لمبدأ ولا لقيمة ، ولم يبق لهم سوى أن يلوحوا بالدين لكسب تأييد عامة جاهلة ويخيفون بذلك الحكومات ومن هنا كانت خشية الحكومات ـ الضعيفة ـ منهم ، بل غالبا ما كانت تقف بجانبهم أو تستقطبهم ليقفوا بجانبها ليعينوها ـ دون ادراك ـ على استبدادها ضد حركات الاصـلاح والتجديد وهـذا ما واجهته جهود الشيخ محمد عبده ٠ على أن البعض الآخر يرى أن هذه العلوم لم تكن تشكل سـببا مباشرا أو غير مباشر لما آل اليه الأزهر من جمود وتخلف ، فضلا عن أنها كانت تقوم بدور هام فى الحفاظ على الدراسات الدينية واللغة العربية ، وان كان هذا الجناح قد رأى أن الاقتصـار عليها ـ أى هذه العلوم ـ وحدها وعدم ادخال علوم أخرى جديدة بجانبها ، وعـدم التمكن من مراعاة ظـروف العصر ومقتضياته فى صياغتها ودراستها ، كل هذا يمثل السبب الرئيسى لما أصاب أغلب مشايخ الأزهر بالتخلف والجمود ٠

وفى هذا الجو صبر محمد عبده وثابر حتى نال الشهادة العالمية

---

(١) عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق ص ٥٣١ : ؛ د٠ عثمان أمين : المرجع السابق ص ٣٥ ٠ ؛ د٠ عبد المنعم الجميعى : عبد الله النديم ص ٢٨٦ ٠

من الأزهر عام ١٨٧٧ م (١) ٠ على أنه خـلال المرحلة الأخـيرة من دراســـته وقع تحت تأثير السيد جمـال الدين الأفغانى مما ستتم دراسته فى فصل مستقل ٠

وقد شغل الشيخ بعد تخرجه عدة وظائف بدأها بالتدريس فى الأزهر فألقى على تلاميذه دراســات فى المنطق والفلسفات الكلامية ، ثم نقل للتدريس فى مدرسة دار العلوم عام ١٨٧٨ لتدريس التاريخ ، ثم مدرسا للغة العربية فى مدرسة الألسن وقد ظهرت له عدة مقالات فى صحيفة الأهرام تؤكد ميله الى العلوم العصرية والبحث فى الأصول الدينية ٠

وقد عزل الشيخ بسبب هذه الاتجاهات وبسبب صلته بالأفغانى من التدريس عام ١٨٧٩ م(٢) ، ولكنه عاد ليعمل فى الوقائع المصرية عام ١٨٨٠ م بعد أن توسط له رياض باشا عند الخديو توفيق ٠

وحينما تشـــكل مجلس ادارة الأزهـــر برئاســـة الشيخ حسن النواوى اشـــترك الشيخ فى عضويته ، وعلى الرغم من أن اشتراكه كان لتمثيل الحكومة الا أنه حرص كل الحرص أن يضـع المجلس لنفسه لائحة قانونية يلتزم بها حتى لا يخضع لمشيئة أى من القوى السياسية والخديو بوجه خاص ٠

وفى عام ١٨٩٩ م عين الشيخ مفتيا للديار المصرية ، ثم أسس جمعية احياء العلوم الاسلامية سنة ١٩٠٠ م ٠

والذى يتتبع هذه الفترة من حياة الشيخ يدرك ميوله الى الثورة

---

(١) نال محمد عبده شهادة العالمية من الدرجة الثانية ، ويرجع ذلك الى تحدى بعض أعضاء لجنة الامتحان من المشايخ لما كان يبديه من آراء ولصحبته لجمال الدين ٠ عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٦٨ ٠

(٢)مارون عبود : رواد النهضة الحديثة ـ بيروت سنة ١٩٥٢ ص ١٩٦ ٠

على الجمود والاستبداد والتخلف والدعوة الى التجديد قبل سفره الى فرنسا • أى أنه اذا كان سفره الى أوربا قد زكى فيه هذا الاتجاه وبصره بعديد من الوسائل فى هذا الصدد ، الا أنه كان موجودا قبل سفره وهذا يؤكد ما ذكرناه من أن جذور هذا الاتجاه اسلامية قبل أن تكون أوربية •

كما أن ذلك يخالف ما ذكره بعض المحافظين من أن محمد عبده قد تغير تغيرا تاما بعد سفره الى فرنسا •

السيد جمال الدين وأثره

قبل أن يبدأ محمد عبده حياته العملية كمدرس فى الأزهر ثم فى دار العلوم (١٢٩٤ هـ ـ ١٨٧٧ م) وقع تحت تأثير السيد جمال الدين الأفغانى الذى وجد فيها ضالته وهو الأمر الذى أوقعه أسيرا لا لهذه الآراء فحسب بل ولشخص جمال الدين كذلك(١) وتوضح المراسلات بين جمال الدين ومحمد عبده مدى علاقة التلميذ بالأستاذ ، فيقول محمد عبده فى رسالة بعث بها من بيروت ـ أثناء نفيه ـ الى جمال الدين : « ليتنى كنت أعلم ماذا أكتب اليك وأنت تعلم ما في نفسى كما تعلم ما في نفسك ، صعتنا بيديك ، وأفضت على موادنا صورها الكمالية ، وأنشأتنا فى أحسن تقويم ، فيك عرفنا أنفسنا ، وبك عرفناك ، وبك عرفنا العالم أجمعين بقدرتك وارادتك ، فعنك صدرنا ، واليك اليك المآب » . ثم يخاطبه فى نفس الرسالة

---

(١) Hourani, Albert : Arabic thought in libral age p. 131.

وهناك رأى آخر يرى أن أول لقاء بين محمد عبده وجمال الدين تم فى ١٨٦٨م أثناء مروره عبر مصر قاصدا اسطنبول . محمد رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام ج ١ القاهرة ـ مطبعة المنار ـ ص ٢٦ . ؛ لكن جمهورا كبيرا يرى أن اللقاء الأول بينهما تم سنة ١٨٧١م . أنظر : محمد عمارة : الأعمال الكاملة للامام محمد عبده ، ج ١ ص ٣١ . ؛

Nuseibeh, Hazem Zaki : The Ideas of Arab Nationalism, p. 120.

قائلا : « فصورتك الظاهرة تجلت فى قوى خيالية ، وامتد سلطانها على حسى المشترك وهى رســم الشهامة ، وشبح الحكمة ، وهيكل الكمال ، فاليها ردت جميع محسوساتى ، وفيها فنيت مجامع شهواتى وروح حكمتك أحييت بها قواتنا ، وأنرت بها عقولنا ، ولطفت بهــا نفوسنا ، بل التى بطنت بها فينا فظهرت في أشخاصنا ، فكنا أعدادك وأنت الواحد ، وغيبك وأنت الشاهد ، ورسمك الفوتوغرافى الذى أقمته في صلاتى رقيبا على ما أقدم من أعمالى ، مسيطرا على في أحوالى ، وما تحركت حركة ولا تكلمت كلمة ولا مضيت الى غاية ولا انثنيت عن نهاية ، حتى تطابق فى عملى أحكام أرواحك وهى ثلاثة فمضيت على حكمها سعيا للخير ، واعلاء لكلمة الحق ، وتأييدا لشوكة الحكمة وسلطان الفضيلة ، ولست فى ذلك الا آلة لتنفيذ الرأى المثلث ومالى من ارادة حتى ينقلب مربعا (١) » ٠

كما أن الشيخ محمد عبده قد خاطب الأفغانى « بمولاى المعظم »، ولقب نفسه فى مراسلاته له بالخادم المطيع وغير ذلك من العبارات التى اعتبرها صاحب المنار شاذة ، واستهجن ما فيها من اغراق وغلو يثير الاستغراب(٢) ٠

ويرى المحافظون أن مجموعة المراسلات بين الأفغانى وتلاميذه بوجه عام ممتلئة بعبارات لا تنم عن عقيدة سـليمة أو اسـلام صحيح (٣) . ويرى البعض الآخر أن ذلك جاء بفعل انغماس الأفغانى وتلاميذه ـ وعلى رأسهم محمد عبده ـ فى فروع الفلسفة وعلم الكلام

---

(١) د٠ محمد محمد حسين : الاسلام والحضارة الغربية ص ٧٢ ، ٧٣ على أنه لم تتح لنا فرصة الاطلاع على المراسلات الأصلية ٠

(٢) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام جـ ص ٢٩٩ ٠

(٣) د٠ محمد محمد حسين : المرجع السابق ص ٧٥ ٠

وذهابهم مذهب القائلين بوحدة الوجود(١) ، وهو أمر جعله ـ وتلاميذه وعلى رأسهم محمد عبده ـ يصطدم بأغلب مشـــايخ الأزهر بزعامة الشيخ « عليش » ، وكذلك ببعض علماء الآستانة » (٢) ٠ ونضيف رأيا آخر بأنه يبدو أن مثل هذه المراسلات كانت تشير الى شـــدة انغماس الجميع في المحافل الماسونية بعد اشتراكهم فيها عن طريق جمال الدين واعترافهم برتبته التى تعلوهم ، فيقول فى رسالة أرسلها الى محمد عبده : « سلم على كل من عرفنـــا وعرفناه واعترف بنا وسلمنا له » (٣) ، كما أنه من الممكن أيضا استنباط ذلك من كثرة ورود المثـــل العليا التى تهتم بابرازها هـــذه المحـافل فى تلك المراسلات ٠

أما الأمر الثانى الذى تأثر به محمد عبده من أستاذه جمال الدين فهو النشاط السرى ، حيث يرجع اليه ـ أى الأفغانى ـ انشاء الحزب الوطنى الحر في مصر أثناء اقامته بها والذى كان حزبا سريا(٤) ، كما

(١) ذلك هو الأثر الأول لجمال الدين على محمد عبده ٠ وقد قام محمد عبده بتدريس هذه العلوم فى الأزهر بعد تعيينه مدرسا فيه (١٨٧٧م) ثم فى دار العلوم التى انتقل اليها ١٨٧٨ وكذلك فى مدرسة الألسن ٠ أنظر : عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٦٨ وهناك تهم أخرى يحاول البعض أن يلصقها بجمال الدين كالالحاد وتعاطى المسكرات وهى تهم دحضها وأبطلهـــا بعض الباحثين : أنظر : د٠ على عبد الحليم محمود : المرجع السابق ص ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٨ ٠

(٢) د٠ محمد محمد حسين : المرجع السابق ص ٧٥ ، ٧٦ ٠

(٣) المرجع السابق ص ٧٤ ٠

(٤) أعلن عن وجود هذا الحزب فى ٤ نوفمبر سنة ١٨٩ م حين أصدر ٢٠ ألف نسخة من بيانه ، ومن المؤكد أنه تكون فى أواخر عهد اسماعيل ٠ ويرى البعض أنه كان يخضع لتوجيه من القصر ، ويستدلون على ذلك باشتراك بعض الباشوات الذين كانوا على صلة بالخديوى فيه أمثال شريف باشا وراغب باشا وشاهين باشا ، ثم انضم اليه بعض الساخطين على السراى فى أوائل عهد توفيق وكان من بينهم البارودى وبعض ملاك الأراضى الذين أضيروا ، الى جانب أشياع اسماعيل =

أسهم فى انشاء جمعية سرية باسم « مصر الفتاة » (١) ، وكان أغلب أعضائها من اليهود ، فضلا عن تأسيسه لجمعية « العروة الوثقى » السرية فى مصر والتى صدرت صحيفتها ــ وهى الأسلوب العلنى الوحيد للجمعية ــ فى باريس(٢) ٠

والأمر الثالث الذى أخذه محمد عبده عن أستاذه هو التقرب من المستر بلانت رغم ما عرف عن الأخير من سعى لاثارة النعرة القومية عند اثارتهم ضد الخلافة العثمانية ، ومطالبته بمشروع الخلافة العربية الذى تفصل فيه السلطة الدينية عن السلطة الزمنية ، وأن تكون حليفة للانجليز(٣) ٠

= باشا الخديوى المعزول ، د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ص ١٣٢ ، ١٣٣ ٠ ؛ زكريا سليمان : الحزب الوطنى ؛ د٠ رءوف عباس : المعارضة الوطنية وارهاصات الثورة ــ ص ٦٢ ٠

(١) تالفت هذه الجمعية فى أواخر عهد اسماعيل ، وقد وقفت منها الصحف الانجليزية موقف العداء منذ البداية ، وقد أعلنت عن برنامج اصلاحى فى بداية حكم توفيق ووجهته اليه ، وعزا المشروع ما تقاسيه مصر الى الأسباب الآتية : (أ) الحكم المطلق (ب) عدم سيادة القانون وعدم تساوى الناس أمامه (جـ) حاجة البلاد الى التعليم العام (د) عدم وجود برلمان منتخب انتخابا سليما يتمتع بسلطة كاملة (هـ) عدم شعور طوائف الموظفين بالمسئولية عن الصالح العام ٠ (و) الربا (ز) عدم اصطناع العدالة فى توزيع مياه الرى (ح) عدم كفاية رواتب الموظفين ٠ د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ص ١٣٣ ٠

(٢) أسس جمال الدين جمعية « العروة الوثقى » لأول مرة فى الهند لأول مرة فى الهند وجعل لها عديدا من الفروع فى مصر وتونس والشام والسودان ٠ د٠ محمد محمد حسين : المرجع السابق ص ٦٥ ٠ لكن يبدو أن مركزها قد نقل الى مصر فترة وجود جمال الدين بها وربما بعد نفيه ٠

(٣) د٠ محمد محمد حسين : المرجع السابق ص ٦٨ ٠ وقد سار الكواكبى فى هذا الاتجاه الرامى الى تأسيس خلافة عربية تلك الفكرة التى تصدى لها مصطفى كامل وشن عليها حربا أضعفتها وقللت من أنصارها ٠ أنظر : زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ١٩٠٧ ــ ١٩٥٣ القاهرة ١٩٨١ ص ١٩٥ ٠

ورابع الأمور التى أثر فيها جمال الدين على تلميذه_محمد عبده والتى عدها المحافظون من المفكرين المسلمين من أهم المؤخذ عليهما معا هو الاشتراك فى المحافل الماسونية ، بل وتأسيس بعضها مع ما عرف من استغلال الاستعمار لهذه المحافل وصلتها بالحركة الصهيونية(١) ٠

وقد أخضع كثير من المفكرين المسلمين ــ والمحافظين منهم بصفة خاصة ــ الحكم على جمال الدين ــ وكذلك تلميذه محمد عبده ــ لهذه المؤثرات وهاجموه من خلالها(٢) ، لكن المجددين والمعتدلين منهم كانوا أكثر انصافا حيث رأوا أن عداء جمال الدين للاستعمار الانجليزى بالذات ــ وهو من المآخذ عليه أيضا ــ دون بقية الدول الاستعمارية

---

(١) عبد الحميد الثانى (الخليفة) : مذكراته السلطان عبد الحميد ، ترجمة : محمد عبد الحميد حرب ــ دار الأنصار القاهرة سنة ١٩٧٧ ص ٦٩ ٠ ؛ د٠ محمد محمد حسين : المرجع السابق ص ٦٨ ٠ ؛ ويرجح أن الأفغانى اشترك فى هذه المحافل عام ١٨٧٨ وهى السنة التى تم فيها تأسيس محفل مجمع الشرق الكبير بالاسكندرية بعد اتصاله بالماسون الايطاليين ثم تحولوا الى محفل كوكب الشرق التابع لانجلترا بناء على طلب نائب القنصل الانجليزى ٠ د٠ عبد المنعم الجميعى : المرجع السابق وسنكتب عن ذلك بتفصيل أكثر فى هذا الفصل ٠ ص ٤٩

(٢) صدر كتاب يهاجم الأفغانى بعنوان : « تحذير الأمم من كلب العجم » ، وكتاب آخر بعنوان : « كشف الأستار فى ترجمة حياة الشيخ الفشار » يهاجم الشيخ محمد عبده ٠ والكتابان من تأليف سيدة أطلقت على نفسها « الحرة التى لسانها خارج لبرة خادمة الوطن والدين وغيورة على المسلمين ، الست المصونة والجوهرة المكنونة حمارة منيتى » ٠ وقد عابت المؤلفة على جمال الدين ومحمد عبده الاشتغال بالفلسفة والثورة على الملوك ، ويعتقد أن الكتابين لمؤلف متنكر تحت اسم امرأة وأنهما قد صدرا بايعاز من الخديو عباس حلمى الثانى ٠ د٠ عثمان أمين : المرجع السابق ص ٢٦٦ وما بعدها ٠ ؛ كما أن كتاب « جمال الدين الأسدبادى المعروف بالأفغانى رغم جهد مؤلفه فى اثبات أن أصل السيد ايرانى شيعى الا أنه لم ينكر دوره فى محاولة انهاض الشرق من الاستبداد ثم الاستعمار وكذلك جهوده فى الاصلاح ٠ أنظر الكتاب ت : صادق نشأت وعبد النعيم حسنين ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ٠

يرجع الى أن أغلب جولاته كانت بين الشعوب الاسـلامية الخاضعة اما لسـلطة الانجليز أو لنفوذهم كالهنـــد وايران والعراق ومصر وأفغانستان(١) ، وقد كان الانجليز وراء طرده من أغلب هذه الدول ٠

فحينما انضم الى « محمد أعظم » فى خلافه مع اخوانه على ملك افغانستان ، وآل اليه الأمر فى النهاية ، أصبح السيد جمال الدين وزيره الأول لكن سرعان ما تجدد النزاع وأيد الانجليز أخاه «شير على» فسقط « محمد أعظم » ٠ وبالطبع لم يكن أمام السيد جمال الدين الا الرحيل خشية بطش السـيد الجديد فخرج الى الهند ، والتف حوله الكثير من محبيه من طلاب العلم ، ولم يكن هذا ليروق للانجليز فمنعته عن الاجتماع بالعلماء واركبته احدى سفنها الى السويس(٢) ٠

وحينما دخل مصر عام ١٨٧١ أدرك مدى نفوذ الانجليز الذى ازداد نتيجة لضعف القصر ، وعاصر بعثة كيف سنة ١٨٧٥ م التى جاء على أثرها « صندوق الدين » والمراقبة الثنائية ، وكذلك القضاء الأجنبى الذى اعتمد على قوانين تختلف اختلافا أسـاسيا عن أحكام الشريعة الاسلامية ، كما أنه بالطبع قد أبعد اللغة العربية واعتمد على اللغات الأوربية(٣) ، وكان هـذا مقدمة للاحتلال البريطانى(٤) ٠

---

(١) حول عداء الانجليز للاسلام أنظر : العروة الوثقى : ص ٣٦٩ وما بعدها ٠ ويعتقد أن صدور العروة الوثقى فى باريس قد منعها من مهاجمة الاستعمار الفرنسى علنا وعلى صفحاتها ، لكن السيد جمال الدين كان وراء حركة الجهاد التى قادها الأمير عبد القادر الجزائرى والذى كان عضوا فى جمعية العروة الوثقى السرية ٠ د٠ محمد محمد حسين : الاسلام والحضارة الغربية ص ٦٥ ٠

(٢) عبد الرحمن الرافعى : جمال الدين ص ٨ ، ٩ ٠

(٣) د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ص ٤١ ٠ ويلاحظ أن هذا النظام قد عرض الفلاحين المصريين ـ وهم غالبية الشعب ـ ولعدم المامهم به للابتزاز على يد المرابين الأجانب ٠

(٤) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ٠ جـ ١ ، ص ١٤٨ ٠

ورأى جمـال الدين أن واجبـه ينحصر فى حث المصريين على التنبه لما سيحيق بهم بعد أن بدا واضـحا أمامه تطلع المصريين الى الحرية والنظم النيابية والحد من الاسراف والنفوذ الأجنبى منذ أواخر عهد اسـماعيل وأوائل عهد توفيق(١) ، ويتضح مدى تأثير ذلك على محمد عبده فيما كتبه عن حالة مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ودور السيد جمال الدين فيقول : « ان أهالى مصر قبل سـنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٧ م) كانوا يرون شـئونهم العـامة ، بل والخاصـة ، ملكا لحاكمهم الأعلى ، ومن يستنيبه عنه فى تدبير أمورهم ، يتصرف فيها حسب ارادته » ، وبعد أن يفصل ذلك يخلص الى القول : « هل كان يمكن لأحد أن يعمل على خلاف ما يأمر به ؟ هل كان يمكن لشخص أن يميل بفكره عن الطريق التى رسمت له ، أو الوجهة التى يتوجه اليها الحاكم ؟ لو حدثه فكره السليم بأن هناك وجهة خـيرا من تلك هـل كان يمكن أن ينطق بما حدثه به فكره ! كلا ۰۰۰۰۰۰ فانه كان بجانب كل لفظ نفى عن الوطن ، أو ازهاق للروح ، أو تجريد من المال » ۰۰۰۰ « وبينما الناس على هـذا ، لا كاتب ينبههم ، ولا خطيب يعظهم ، اذ عرض أمر قلما يلتفت اليه ، وان كان مما جرت به السنة الالهية فى كل زمان : جاء الى هذه الديار سنة ١٢٨٦ هـ رجل غريب ، بصير فى الدين ، عارف بأحوال الأمم ، واسـع الاطـلاع جم المعارف ، جرىء القلب وهـو المعـروف بالسيد جمـال الدين الأفغـانى ، اشتغل بالتدريس لبعض العلوم العقلية ۰۰۰۰ فاستيقظت مشـاعر ، وانتبهت عقول وخف حجاب الغفلة » (٢) ۰

---

(١) المنار : ح ٣ م ١١ ص ١٩٧ ؛ عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية ط ٢ ص ١٩ ۰ ؛ Milner, Sir Alfred : England in Egypt : London 1899, p. 263

(٢) العروة الوثقى : ص ١٤ ، ١٥ ۰ ؛ وعن حالة مصر فى هذه الفترة أنظر ۰ د۰ أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسالة المصرية ص ١٨ وما بعدها ۰

وكان الاصلاح فى نظر جمال الدين يجب أن يتجه الى الاستبداد الممثل فى نظـام الحـكم أولا ، وكان يدرك أن الحرية والاسـتقلال لا يوهبان عن طيب خاطر بل ان الأمم تحصل عليها بالقوة(١) ، ومن هنا لم يكن أمامه من سبيل سوى الحض على تكوين جمعيـات سرية مناهضة لنظام الحكم الاستبدادى ، بل ان بعض الآراء ترى أنه قد اشترك بنفسه سرا مع نوبار باشا فى خلع الخديو اسـماعيل(٢) ، وكذلك كان وراء حملة الصحافة التى أظهرت روح المعارضة للحكومة وحضت المصريين على المطالبة بحقوقهم الأمر الذى أدى الى تعطيلها من قبل الحكومة(٣) . وسلك جمال الدين وتلاميذه سبيلا آخر لاثارة

---

(١) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ص ٣١ .

(٢) د. محمد حسين : الاسلام والحضارة الغربية ص ٦٧ . ؛ محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام ج ١ ص ٧٤ . ؛ وقد نشر المستر بلانت فى كتابه « التاريخ السرى للاحتلال » تمنى جمال الدين لو يقتل اسماعيل باشا وأن محمد عبده قد استحسن هذا الرأى ـ المنار : ج ٣ م ١١/١٣٤٦هـ/١٩٠٨م ص ١٨٩ . ويلاحظ أن زيادة سلطة المحاكم الأجنبية الى حد الحد من سلطة الخديو فيما يمس صالح الأجانب كان دافع نوبار للعمل على خلع الخديو اسماعيل ، وقد كتب الى احد أصدقائه فى يوم توقيع الاتفاقية الخاصة بانشاء المحاكم المختلطة « اليوم وضع أول لغم تحت سلطة اسماعيل وأعتقد أنه سينفجر يوما ما » . ؛ د. ابراهيم شلبى : تطور النظم السياسية والدستورية فى مصر ص ١٠٩ حيث يذكر أن الانجليز كانوا وراء ارغام الباب العالى يخلع اسماعيل لرغبته فى الاعتماد على الارادة الوطنية للحد من النفوذ الأجنبى . ؛ عبد الرحمن الرافعى : جمال الدين ص ٤٥ .

(٣) من المعروف أن الصحف التى أسهمت فى هذه الحملة هى « أبو نضارة » و « الوطن » و « مصر » و « التجـارة » و « مصر الفتـاة » ، ومن الثابت أن جمال الدين كان وراء انشائها أو أغلبها ، وكان محرروها وعلى رأسـهم أديب اسحق وميخائيل عبد السيد أكثر تلاميذ الأفغانى قربا منه . أنظر : أحمد أمين : زعماء الاصلاح . ص ٣٠٠ ، ٣٠١ ؛ وانظر أيضا : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ص١٣٢ حيث يذكر «أن كل هذا أدى الى اتخاذ الحركة الحرة =

المصريين هو طبع المنشورات السرية وتوزيعها وتكوين الجمعيات ، ويعتقد أن رياض باشا كان له دور ـ بل وربما علم ـ بهذه المنشورات ومحرريها ، ولهذا لم يقبض على جمال الدين وصحبه برغم تهديده بنفي ناشريها الى السودان(١) ٠

ويبدو أن توفيق باشا ـ ولى عهد الخديو اسماعيل ـ كان على علم بكل هذه الأمور حيث كان يعد جمال الدين ومحمد عبده من أخلص أنصاره ، بل ولا يستبعد تأييده لجمال الدين سرا فيها ، وأن جمال الدين قد اطمأن اليه بعد اشتراكه فى المحفل الماسونى وبعد اشتراكه فى الحزب الوطنى السرى(٢) ، وكذلك بعد وعده ـ أى توفيق باشا ـ بأن يجعل « فى مصر مجلسا نيابيا اذا صار الأمر اليه وأن يحول الحكم من الاستبدادى المطلق الى الشوروى المقيد » (٣) ٠

= شكلا سريا مخافة الارهاب» ٠ ص ٨٥ ، ٨٦ ٠ ؛ د٠ نجلاء عز الدين : المرجع السابق ص ١٢٠ ؛ د٠ رءوف عباس حامد : المعارضة الوطنية وارهاصات الثورة ـ من كتاب مصر للمصريين ـ القاهرة سنة ١٩٨١ ص ٤٩ ٠

(١) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٧٠ ٠ ؛ د٠ محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ـ طبعة خاصة سنة ١٩٧٠ دار الارشاد ـ بيروت جـ ١ ص ١٥٤ ٠ ؛ مجيد خدورى : المرجع السابق ص ٧١ ٠

(٢) د٠ محمد محمد حسين : المرجع السابق ص ١٥٣ هامش (١) ٠ وقد تكونت فى هذه الفترة بعض الجمعيات السرية بالأزهر الى جانب جمعية سرية بالجيش ، وجمعية حلوان التى تكونت من كبار ملاك الأراضى التى كانت مع جمعية الجيش أساس تكوين الحزب الوطنى ٠ أنظر : د٠ على الدين هلال : السياسة والحكم فى مصر ـ القاهرة سنة ١٩٧٧ ص ٦٥ ٠ وعن صلة توفيق بجمال الدين أنظر : د٠ عمر عبد العزيز : دراسات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٣١٢ ٠ ؛ وقد تأسس هذا الحزب عام ١٩٧٩ م : أنظر : Landau, Jacob M. Parliaments and Parties in Egypt, New York 1954. p. 87.
وحول تأسيس هذا الحزب أنظر : د٠ عبد المنعم الجميعى : المرجع السابق ص ٣١ هامش (٥٦) ٠

(٣) المنار : جـ ١ م ١١ ٧٤٠ ٠ ؛ د٠ ابراهيم شلبى : المرجع السابق =

كما أن الخديو اسماعيل قد قصد من الترحيب بجمال الدين أن يبدو أمام المتابعين لصراعه مع الآستانة والتى طردت جمال الدين أنه يرحب بالعلم والعلماء ، ولم يخيل اليه أن تشكل آراء جمال الدين أى خطر عليه ، وبالفعل كانت آراءه فى البداية قاصرة على الهدف التعليمى الثقافى ، لكنها وبعد توغل نفوذ الاحتلال انقلبت الى سياسة تقاوم هذا النفوذ والاستبداد الذى كان السبب فيه(١) .

وعندما آل الأمر فى مصر الى توفيق نصحه الأفغانى ومحمد عبده بالحكم الشوروى النيابى لأنه الوحيد الذى يضمن له ثبوت عرشه ودوام سلطانه(٢) ، لكنه سار فى طريق الاستبداد وضاق بجمال الدين ولم يجد أمامه بدا من طرده خارج مصر سنة ١٨٧٩ م ، كما فصل محمد عبده من خدمة الحكومة وأعاده الى قريته وحذره من القيام بأى نشاط عام(٣) .

= ص ١١٧ . وكان توفيق يعتمد فى آرائه هذه على السيد جمال الدين : فقد قال مرة لجمال الدين على مسمع من الحاضرين « انك أنت موضع أملى فى مصر أيها السيد » . أنظر : عبد الرحمن الرافعى : جمال الدين الأفغانى ص ٤٤ . محمد رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٧٧ .

(١) قدرى قلعجى : جمال الدين الأفغانى حكيم الشرق ص ٣٦ .

(٢) العروة الوثقى : ص ١٤ . ؛ المنار : ج/١٠م/١١ ص ٧٤٠ .
د. احمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ص ١٠٨ وما بعدها . ١٣٢ .
د. مكى شبيكة : المرجع السابق ص ٥٦٣ .

(٣) د. ابراهيم أحمد العدوى : رشيد رضا الامام المجاهد ، سلسلة أعلام العرب (٣٣) ص ٦٥ . ويرى الاستاذ عبد الرحمن الرافعى أن توفيق قد تأثر بوشاية رسل الاستعمار الأوربى وعلى راسهم قنصل انجلترا العام فى مصر حيث كانوا ينقمون على السيد روح الثورة والدعوة للحرية والدستور . عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ٤٤ . وانظر أيضا : قدرى قلعجى : جمال الدين ص ٥٠ . ٥١ .

وقد لقى اتجاه جمال الدين ـ السرى ـ رواجا واستجابة عند أغلب الوطنيين المصريين وهو أمر أكده انضمام أكثر من عشرين أ ف عضو للحزب الوطنى السرى ولم يكن قد مضى عام كامل على تأسيسه ، فضلا عن كثرة الأموال التى رصدت فى المصارف ـ والتبرعات العينية ـ من قبل المصريين لهذا الحزب(١) ٠ ومن دلائل الاستجابة لدى المصريين لاتجاه جمال الدين وتلاميذه تحول شاعر كان يعتبر من شعراء القصر وهو الشاعر صالح مجدى الى نظم القصائد المعادية للقصر والاحتلال والتى تحض المصريين على الثورة ضدهما ، وقد وصل به الأمر الى حد هجاء نفسه على القصائد التى نظمها فى مديح الحكام(٢) ٠ ومن القصائد التى نظمها هذا الشاعر قصيدة هاجم فيها الخديو اسماعيل وهو عنفوانه يقول فيها :

رمى بـلادكم فى قعـر هاوية
من الديون على مرعوب جوسيار
وأنفق المـال لا بخلا ولا كرما
عـلى بغى وقـواد وأشرار
والمـرء يقنع فى الدنيـا بواحدة
من النسا وهو لم يقنع بمليار
ويكتفى ببنـاء واحـد وله
تسعون قصرا بأخشـاب واحجار

---

(١) محمد محمد حسين : الاسلام والحضارة الغربية ص ٦٧ ٠ ؛ محمد المخزومى : خاطرات جمال الدين ، ٠٠٠٠٠ ص ٤٤ ٠ وقد نشر برنامج هذا الحزب فى جريدة التايمز الانجليزية مما يدل على أن جمال الدين كان وراء ذلك عن طريق المستر بلانت أنظر : عبد الرحمن الرافعى ـ الثورة العرابية ص ١٤٥ ٠ ؛ د٠ محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية جـ ١ ص ١٥٤ هامش (٢) ٠ ؛ د٠ على شلبى : دور القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية ص ١٧٣ ، ١٧٤

(٢) د٠ زكريا سليمان بيومى : الاخوان المسلمون ص ١٠٠

فاســـتيقظوا لا أقال الله عثرتكم
من غفلة ألبستكم ملبس العار(١)

ويقول فى حض المصريين على مقاومة النفوذ الأجنبى :

أما فيكم يا أهل مصر كغيركم
نصـيرا يرجى للقنا والعزائم

فلو أن لى جيشا به ألتقيهم
لأفنيت أقصاهم برمح وصارم

وطهـرت أرض الله منهم بقتلهم
وأيدت دين المصـطفى خير هاشم

فيا آل مصر لاتناموا ودافعــوا
عن الدين والأوطان أهل المحارم

فأموالكم أضـــحت لديهم غنيمـة
وأبناؤكم ما بين عبد وخادم(٢)

وتأتى الثورة العرابية على رأس الأحداث التى تؤكد استجابة المصريين لآراء السيد جمال الدين بعد أن نجح فى بث تعاليمه الرامية الى قيام نظام نيابى حـر ومقاومة النفوذ الأجنبى لدى مجموعة من

---

(١) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية جـ ١ ص ١٥٤ ، ١٥٥ نقلا عن ديوان الشـــاعر صالح مجدى الذى توفى فى نوفمبر سنة ١٨٨١ قبيل قيام الثورة العرابية .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٦ ، ولا يستبعد أن يكون البارودى قد تأثر باتجاه السيد جمال الدين فيما قام به من حركة احياء الفصحى والرد على دعاة العامية التى قادها محمد عثمان جلال وغيره . د. شوقى ضيف : فصول فى الشـــعر ونقده ص ٢٧٨ . ؛ عبد الرحمن الرافعى : جمال الدين ص ٤٧ .

المثقفين وأغلب الوطنيين المصريين(١) . وبعد وقوع مصر تحت الاحتلال البريطاني سنة ١٨٨٢ م ركز جمال الدين على اثارة المصريين وحثهم على العمل لطرده وعدم تمكينه منهم على صفحات العروة الوثقى ، وأهاب بالمسلمين جميعا أن ينهضوا لدفع هذا البلاء عن مصر(٢) .

ولم تقف جهود جمال الدين فى هذا المجال على مصر وحدها بل تعدتها الى بلدان اسلامية أخرى كالجزائر وتونس والشام والسودان ، فقد أشرك زعماء الحركة الوطنية فى بعض هذه البلاد في جمعية العروة الوثقى وغيرها من الجمعيات السرية مثل الأمير عبد القادر الجزائرى وبعض رجاله(٣) .

أما عن علاقة جمال الدين بالمستر بلانت فترجع الى سنة ١٨٨١ م ، ويرجح أن تكون علاقته ـ أى بلانت ـ بالشيخ محمد عبده

---

(١) العروة الوثقى : دار الكاتب العربى ـ بيروت سنة ١٩٧٠ ص ١٥ . وكانت نتاجا للجمعية السرية التى تأسست بين ضباط الجيش والتى أسسها على الروبى لتتفقد الأوضاع داخل الجيش وتناقش مساوىء التدخل الأجنبى وكيفية التخلص من الضباط الأتراك والشركسيين . د. على الدين هلال : المرجع السابق ص ٦٥ . ؛ د. عبد المنعم الجميعى : المرجع السابق ص ٥٥ .

(٢) العروة الوثقى : ص ٤٥ وما بعدها . ؛ المنار : ج/١٠م/١١ ص ٧٤٠ وما بعدها . ؛ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ـ ت : منير أمين فارس ومنير البعلبكى ـ دار العلم للملايين ـ بيروت سنة ١٩٤٨ ص ٦١٧ ، ٦١٨ . وكان جمال الدين فى ذلك معارضا للخديو توفيق الذى أصدر أوامره بتسليم البلاد للانجليز . أنظر القضية المصرية ١٨٨٢ ـ ١٩٥٤م ، المطابع الأميرية القاهرة سنة ١٩٥٥م ص ١٦ بخصوص أمر الخديو توفيق فى ٢٢ أغسطس سنة ١٨٨٢م الى ضباط وقواد الجيش المصرى ، وعن تأثر عبد الله النديم بجمال الدين أنظر : عبد الرحمن الرافعى : جمال الدين ص ٤٧ .

(٣) د. محمد محمد حسين : الاسلام والحضارة الغربية ص ٦٥ . ؛
Abdel Malek, Anauar : Egypt Military Society, p. 201.

قد بدأت في نفس العام ، ثم تدعمت بعد عودة الشيخ من المنفى ، ثم ازداد اقترابا بحكم جيرتهمـــا حيث كانا يسكنان في المطـــرية ـ وهي ضاحية من ضواحي القاهرة ـ وأدى هذا الى حدوث لقاءات عديدة بينهما تدارسا فيها موضوعات شتى كان على رأسها الاحتلال البريطاني لمصر وسبل النهضة والاصلاح وغير ذلك(١) ٠

ومن الواضح أن اقتراب جمال الدين وتلميذه محمد عبده من بلانت كان يرجع الى موقف الأخير من المسألة المصرية حيث كان يرى تدويلها وأن يترك الانجليز الادارة لحـــكومة مصر يختارهـــا الأهالي بالانتخاب ، وألا يكون هناك امتيازات للأجانب . أو ضباط أجانب في الجيش المصري ، وهـــذه الأمـــور جعلت جمـــال الدين يصفه « بالانجليزي الحر » (٢) ٠ ويعتقد الشيخ محمد عبده أنه قد استفاد من صداقته للمستر بلانت حيث قام الأخير بمهاجمة سياسة الاحتلال وتعريتها في كتابه : « التاريخ السري للاحتلال » الأمر الذي أغضب كرومر من الشيخ لأنه هو الذي أمد بلانت بالمعلومات التي تضمنها

---

(١) د٠ محمد محمد حسين : الاسلام والحضارة الغربية ص ٧٩ ٠ وبلانت ديبلوماسي بريطاني تنقل في عدة دول ثم ترك الخدمة في سنة ١٨٥٩م ، وركز اهتمامه بعد ذلك على الشرق الأدنى فزار كلا من تركيا والجزائر ومصر والهنـــد والعراق وعدن ثم عاد الى مصر ١٨٨٠م فعاصر قيام الثورة العرابية ، وكان وسيطا بين رجالها والساسة البريطانيين ٠ وواصل تأييده لرجال الثـــورة بعد فشـــلها حيث عين لهم محامين بريطانيين على نفقته ٠ عبد العاطي محمد أحمد : المرجع السابق ص ٨٩ هامش (٣) وقد التقى في رحلاته بعديد من الزعماء الوطنيين مثل الأمير عبد القادر الجزائري وغيره ٠ أحمد خاكي : صديق العرابيين ص ٦١ ٠

(٢) العروة الوثقى : ص ٢٧٥ ٠ مقال بعنوان « رأى المستر بلانت في المسالة المصرية ـ « انجليزي حر ينصف المصريين » وهو عبارة عن مقال نشره المستر بلانت في التايمز الانجليزية وترجم الى العربية ونشرته العروة الوثقى تحت هذا العنوان ٠ وانظر أيضا : د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ص ١٨٧ ٠ ؛ د٠ نجلاء عز الدين : المرجع السابق ص ١١٥ حيث تذكر صلة بلانت بعرابي والخلاصة ـ أي بلانت ـ وزوجته لقضية الحرية ومساندته للقضية المصرية ٠

هـذا الكتاب(١) · واذا كان المحافظون من المسلمين قد أخـذوا على المستر بلانت دعوته لاقامة خلافة عربية ـ حليفة للانجليز ـ حتى لا يشارك العرب الأتراك فى مصـــيرهم الآيل للسقوط(٢) ، فان عبد الرحمن الكواكبى قد دعا الى تلك الفكرة(٣) ، بل ان بعض دعاة القومية من الشوام مثل عبد الحميد الزهراوى قد تعدوا دعوة بلانت والكواكبى الى محاولة الاساءة الى فكرة الخلافة الاسلامية(٤) · كما أن صلة بلانت بالزعماء الوطنيين فى مصر قد ظلت ـ لمواقفه الطيبة ـ مستمرة حيث كان على صلة بزعمـــاء الحزب الوطنى الذى أسسه مصطفى كامل وعلى رأسهم محمد فريد الزعيم الثانى للحزب(٥) ·

(١) المنار : جـ ٢ م ١١ سنة ١٣٢٦ هـ ص ٩٥ ، ١٨٦ ·

(٢) د· محمد محمد حسين : الاسلام والحضارة الغربية ، ص ٦٨ ·

(٣) د· زكريا سليمان : الاخوان المسلمون ص ١٥ · وكان ذلك نابعا من ادراكه ـ أى بلانت ـ للهوة التى كانت بين العرب والترك ، وكان يرى أن حل مشكلة عدم قيام الترك بالعدل والقسطاس فى حكم العرب هو أن يعلن العرب التبعية الاسمية للخلافة الاسلامية والاستقلال الكامل فى الحكم كما كان عليه محمد بن الرشيد فى حائل ، وهو حل ســيؤخر ظهور الفكرة القومية عند العرب · أحمد خاكى : صديق العرابيين ص ٦٧ · ويبدو أن بلانت قد تأثر فى أفكاره هذه بمحمد عبده · ؛ وعن ميوله للفكرة القومية أنظر : د· صلاح العقاد : الفكرة العربية فى مصر ـ بحث منشور بمجلة الجمعية التاريخية ١٩٧٣/٧٢ ص ١٥٠ · ؛ مجيد خدورى : الاتجاهات السياسية ص ١٥ ·

(٤) د· زكريا سليمان : الاخوان المسلمون ص ٢١ ، ٢٢ · وقد أصدرت المكتبة الهاشمية بدمشق جملة تحت عنوان « عصر السلطان عبد الحميد وأثره فى الأقطار العربية » جـ ١ ط ٢ كشفت فيها حملة الهجوم على الدولة العثمانية منـذ نشأتها حتى عهد عبد الحميد ·

(٥) د· زكريا سليمان : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ص نقلا عن أوراق محمد فريد ، خطاب من ويلفريد بلانت الى فريد فى ٧ ابريل سنة ١٩١٢م · ؛ وذكر كرومر أن المستر بلانت كان يعتقد فى امكان احياء الاسلام على قواعده الأساسية · أحمد خاكى : صديق العرابيين ـ ولفرد سكوين بلنت ١٨٤٠ ـ ١٩٢٢ ، بحث منشور بمجلة الجمعية التاريخية ١٩٧٣ ص ٤٧

وعن اشتراكه ـ أى جمال الدين ـ فى الماسونية يقول : « أول ما شوقنى للعمل فى (بناية الأحرار) عنوان كبير خطير (حرية ـ مساواة ـ اخاء) وأن غرضها (منفعة الانسان ، سعى وراء دك صروح الظلم ، تشييد معالم العدل المطلق) ولكن كنت أنتظر أن اسمع وأرى فى مصر كل غريبة وعجيبة ، وكنت لا أتخيل أن الجبن يمكن أن يدخل بين اسطوانتى المحافل الماسونية ! اذا لم تتدخل الماسونية فى سياسة الكون وفيها كل بناء حر ، واذا كانت آلات البناء التى بيدها لا تستعمل لهدم صرح الظلم والعتو والجور ـ فلا حملت يد الأحرار مطرقة ، ولا قامت لبنايتهم زاوية قائمة » (١) ٠

ومع ما يبدو من ذلك فى أن بريق هذه المحافل قد جذب جمال الدين وتلاميذه الا أن البعض يرى أن ذلك التبرير لا يعفى

---

(١) محمد فتحى عثمان : الفكر الاسلامى والتطور ـ ط ٢ ـ الدار الكويتية سنة ١٩٦٩ ص ٢٨٧ ٠ وقد اختلف الكتاب فى منشأ هذه الحركة فمن قائل بحداثتها وأنها لم تدرك ما وراء القرن الثامن عشر ، ومنهم من قال أنها انبعثت من جمعية الصليب الوردى التى تأسست سنة ١٦١٦م ، ومنهم من أوصلها الى الحروب الصليبية ، ومنهم من رأى أنها نشأت مع سيدنا آدم عليه السلام الى غير ذلك ٠ على أن هناك كثير من الشواهد تؤكد أنها حركة يهودية ٠ أنظر : فتحى يكن : حركات ومذاهب فى ميزان الاسلام ص ٥٤ وما بعدها ٠ ويرى الدكتور على عبد الحليم محمود أنها مؤسسة يهودية وأن أفكارها يهودية من البداية للنهاية ، وأن المحرك لمحافلها والمتولين لأعلى مناصبها هم اليهود ٠ د٠ على عبد الحليم محمود : المرجع السابق ص ١٤٥ ٠ ومع ذلك يرى أن انكشاف الماسونية الى هذا الحد لم يكن واضحا أمام جمال الدين وفى زمنه ٠ وكلمة Macon فرنسية ومعناها بناء ، ومنها سمى أعضاء هذه الجماعة بالبنائين ، ويرجح أن تكون قد نشأت فى أعقاب نشأة النقابات فى أوربا فى أواخر العصور الوسطى ، وكان أغلب أعضائها من اليهود الذين جمعهم الانتماء الحرفى لا الانتماء القومى ، وكان لذلك أثره على تركيز هذه الجماعة على شعارات المساواة وابعاد الطابع القومى وغيرها ٠ ر٠ رفورستيه : هذه هى الماسونية ـ ت : بهيج شعبان ـ دار بيروت سنة ١٩٥٥م ص ٩ ٠

مفكرا كجمال الدين وكذا محمد عبده من الاشتراك فى هذه المحافل ، فى حين يرى البعض الآخر أن اشتراكهما فى هذه المحافل كان سابقا لظهور حقيقة أهدافها المرتبطة بالصهيونية(١) ، ويرتكزون فى ذلك على ما ورد فى « بروتوكولات حكماء صهيون : « ونحن ـ أى اليهود ـ الشعب الوحيد الذى يعرف أن يوجهها ـ أى الماسونية ـ ونعرف الهدف الأخير لكل عمل على حين أن الأمميين (غير اليهود) جاهلون بمعظم الأشياء الخاصة بالماسونية ، ولا يستطيعون حتى رؤية النتائج العاجلة لما هم فاعلون • والأمميون يكثرون من التردد على الخلايا الماسونية عن فضول محض ، أو على أمل نيل نصيبهم من الأشياء الطيبة التى تجرى فيها ، وبعضهم يغشاها أيضا لأنه قادر على الثرثرة بأفكاره الحمقاء أمام المحافل • والأمميون يبحثون عن عواطف النجاح وتهليلات الاستحسان ونحن نوزعها جزافا بلا تحفظ ، ولذا نتركهم يظفرون بنجاحهم لكن نوجه لخدمة مصالحنا كل من تتملكهم مشاعر الغرور ومن يتشربون أفكارنا من غفلة واثقين بصدق عصمتهم الشخصية » (٢) •

---

(١) د• على عبد الحليم محمود : المرجع السابق ص ١٤٦ ، ١٤٧ • حيث يرى أن نبل الهدف وحسن النية كانت رائدة جمال الدين وغيره من تلاميذه • عن صلتها بالشيوعية أنظر : وليام غازى كار : أحجار على رقعة الشطرنج ـ ت : سعيد جزائرلى ـ دار النفائس ـ بيروت سنة ١٩٧٣ ص ١١٢ •

(٢) فتحى يكن : المرجع السابق ص ٥٦ ، ٥٧ • ولمزيد من الوضوح تذكر أن جمال الدين كان ينتمى الى المحفل الماسونى الاسكتلندى ثم تحول عنه الى المحفل الماسونى الفرنسى ، ثم محفل كوكب الشرق فى لبنان الذى اشترك فيه محمد عبده ثم محفل مصر • ويلاحظ أن محفل كوكب الشرق كان تابعا للمحفل الأكبر فى انجلترا برعاية البرنس « أوف ويلز » ، ويرى البعض أن الحزب الوطنى الذى أسس فى مصر ربما كان تابعا لهذا المحفل وربما كان تابعا لمحفل وطنى مستقل • وقد انضم الى محفل « الشرق » فى عام ١٨٧٨م كتاب مصريون وسوريون كابراهيم اللقانى وسليم نقاش وعبد السلام المويلحى والضابطان اللذان قادا مظاهرة قصر =

ويسوق المدافعون عن المفكرين ـ جمال الدين ومحمد عبده ـ مبررا آخر وهو أن هذه المحافل فى سريتها وغموضها وأسلوبها قد صادفت هوى لديهما ، وقد بدا ذلك فى دعوتهما لتقريب الأديان الثلاثة لأنها ـ حسب رأى جمال الدين ـ متفقة فى المبادىء ولأن أساسها واحد وأن الذى وسع شقة الخلاف بينها هو اتجار رؤساء الأديان بها(١) ٠ ومما يؤكد ذلك جمع جمال الدين لكثير من اليهود

= النيل «لطيف سليم وسيد ناصر» . أما كوكب الشرق التابع للمحفل الأكبر فى انجلترا فكان يضم ثلاثمائة من خلاصة المصريين الذين كان على رأسهم ولى العهد توفيق باشا وشريف باشا وسليمان أباظة وسعد زغلول وبعض ضباط الجيش وعلماء الأزهر وأعضاء مجلس شورى النواب ٠ وقد نشأت بين أغلب هؤلاء رابطة من التضامن ترجع نشأة « الحزب الوطنى » ، ومما يؤكد ذلك أنه حين قبض على الضابطين فى أعقاب مظاهرة قصر النيل اجتمع المحفل برياسة جمال الدين وأرسلوا برقيتى احتجاج الى كل من الخديو اسماعيل والبرنس « أوف ويلز » رئيس المحفل العام فى انجلترا مطالبين بالافراج عن الضابطين ٠ وقد بذل قنصل انجلترا العام مساعيه وأطلق سراحهما ٠ على أن الأفغانى قد انفصل بمريديه عن المحفل الانجليزى وأنشأ محفلا تابعا للشرق الفرنسى ، وقد شكل المحفل الجديد خطورة على انجلترا فطلب قنصلها من الخديو طرد جمال الدين من مصر فخرج سنة ١٨٧٩م ٠

د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ص ٨٥ ، ٨٦ ٠

د٠ على عبد الحليم محمود : المرجع السابق ص ١٤٢ ، ١٤٣ ٠ : محمد المخزومى : خاطرات جمال الدين بيروت ص ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ٠

(١) محمد فتحى عثمان : المرجع السابق ص ١٩٠ ٠ ؛ فتحى يكن : المرجع السابق ص ٥٦ ٠ وقد تمكن جمال الدين من أن يضم الى محفل مصر عديدا من تلاميذه وعلى رأسهم محمد عبده وأديب اسحاق وعبد الله النديم ومن بين هؤلاء فارس نمر صاحب جريدة « المقطم » وصهره مكاريوس صاحب « اللطائف المصورة » وسعد زغلول وكذلك بعض الوجهاء والأعيان وفى مقدمتهم ولى العهد توفيق باشا ، كما انضم بعض زعماء الثورة العرابية كمحمود سامى البارودى (الذى قاد حركة الرد على دعاة العامية) ٠ ومن هنا يرى البعض أن هناك صلة بين الماسونية والصهيونية والثورة العرابية ٠ د٠ محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية جـ ١ ص ٥٣ هامش (١) ٠ ؛ ولنفس المؤلف : الاسلام والحضارة الغربية ص ٧٠ ـ ٧٣ ٠ ويرى البعض أن محمد عبده هو الذى أسس جمعية التقارب بين الأديان شارك =

والنصارى حوله كتلاميذ وأتباع كسليم نقاش وأديب اسحاق ، كما كان طبيباه الخصوصيان ـ وهما الوحيدان اللذان حضرا احتضاره ـ أحدهمـا يهودى (هارون) والآخـر نصرانى (جورجى كونجى) ، هذا بالاضافة الى أن مجلسه كان يضم الكثير من اليهود الذين كون من أغلبهم جمعية « مصر الفتـاة » (١) · لكن مثل هـذه الدعـوة ـ فى رأى المحافظين ـ قد أخفت وراءهـا العـداء للأديان جميعها وللاسـلام على وجه الخصـوص ، كما أن ما أكدها من تصرفات جمال الدين قد أثار حوله ارتيابا كبيرا(٢) ، لكن ذلك كان حلقة فى جهودهما لخلق وعى قومى يحشد كافة الطوائف لابعاد الفساد عن وطن هو جزء من الكتلة الاسلامية ·

وهناك رأى آخر يرى أن لجوء جمال الدين وتلاميذه الى المحافل الماسونية يرجع الى خشيتهم من بطش اسماعيل حيث كانت هـذه المحافل تتمتع بالرعاية والعناية الأجنبيتين (٣) ، وكذلك فى دورهما التاريخى المؤيد للحركات التحررية ضد استبداد أنظمة الحكم(٤) ·

= فيها عدد من المستنيرين من رجال الدين الثلاثة وكان ذلك فى سنة ١٨٨٥ م بعد عودته الى بيروت بعد توقف صدور العروة الوثقى · عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٣٢ أن الشيخ محمد عبده قد تمثل بالبيت القائل :

ان الديانات التى بيننا احنـا وأورثتنـا افانين العداوات

(١) د· محمد محمد حسين : الاسلام والحضارة ص ٠٦٩ · ؛ محمد رشيد رضا: تاريخ الاستاذ ج ١ ص ٩٣ · ،

Landau, Jacob : Parliaments and Parties in Egypt, p. 101.

(٢) د· على عبد الحليم محمود : المرجع السابق ص ١٤٤ ·

(٣) د· أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ص ٨٥ · ؛ د· عبد المنعم الجميعى : المرجع السابق ص ٤٩ ·

(٤) د محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ج ١ ص ١٥٣ حيث يذكر أنهـا كانت وراء قيام الثورة الفرنسية · ؛ عباس العقاد : المرجع السابق ص ١٣٥ · ؛ عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٦٩ هامش (١) · ؛ وليام غازى كار : أحجار على رقعة الشطرنج ص ١١١ وما بعدها ·

ويبـدو كـذلك أن جمـال الدين ومحمد عبده بعد أن أدركا مدى الضعف الذى دب فى أوصال العالم الاسلامى قد أخذهما بريق مثل هذه الدعوة التى تناجى فطرة الضعفاء وتلوح بالمثل العليـا التى يتصورون أن فيها مخرجهم ، وكانا يريدان ألا يعـود الصراع بين الشرق والغرب صراعا دينيا ، وربما يكون ذلك ـ لو صح الافتراض ـ لخشيتهما على العالم الاسلامى الضعيف من نتيجة هذا الصراع فسلكا سبيل انهاض الشعوب الاسلامية كى تكون مهيئة له(١) ٠ لكن مثل هذا الرأى لا يؤيده المحافظون لعدم اتفاقه مع طبيعة الاسـلام الذى يحدد أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس شعوبا وقبائل وجعلهم شيعا وأحزابا ولو شاء لجعلهم أمة واحدة وذلك لكى يجاهد الضعيف القوى ولتبرز خلال هذا الصراع ملامح الخير والكمال فى الأفراد والجماعات والشعوب(٢) ، ولأن هـذا الاتجاه ينبع من روح انهزامية لايقرها الاسلام ولم يشهدها تاريخه العريق ٠

وعلى الرغم من تسـليم كثير من المفكرين بأن انخراطهمـا ـ جمال الدين ومحمد عبده ـ فى المحافل الماسـونية ـ ولو لفترة محدودة ـ سيظل مأخذا من المآخذ القوية عليهما ـ وبخاصة لدى المحافظين ـ ومنفذا قويا للتشكيك فى حقيقة دورهما عامة وموقفهما من الاتجاه الاسلامى بصفة خاصة(٣) ، الا أن جهودهما ومن اشترك

---

(١)
SAFRAN, NADAV, Egypt in Search of Political Community (Cambridgi : HARVARD University, press 1961, p. 41.

(٢) د٠ محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية جـ ١ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ ٠

(٣) عبد الحميد الثانى : مذكرات السلطان عبد الحميد ـ دار الأنصار ـ القاهرة سنة ١٩٧٧م ، الملاحق المصورة ، وقد نشرت صورة وثيقة تثبت اشـتراك كل من جمال الدين ومحمد عبده فى محافل كوكب الشرق ومحفل القاهرة ٠ ؛ د٠ على عبد الحليم محمود : المرجع السابق ١٥٢ ٠ وكان غرض السلطان من نشر هذه الوثائق هو التقليل من شأن دور جمال الدين وتلميذه والتشكيك فيهمـا ، ويستدل من ذلك أن أهداف هذه المحافل المعادى للاسلام كان واضحا للسلطان ٠ =

معهما فى هذه المحافل فى القضـايا الاسـلامية والوطنية ينبغى أن توضع فى الحسبان ، والا فبماذا نفسر الدور البطولى الذى لعبه بعض ممن اشتركوا فى هذه المحافل ، الأمير عبد القادر الجزائرى الذى قاد حركة التحرر الاسلامى فى الجزائر ، فضلا عن عرابى الذى قاد الحركة العرابيـة سـنة ١٨٨١ م فى مصر والذى حرص على ابراز الوجه الاسلامى لحركته(١) ، وكذلك دور البارودى فى احياء الفصحى بعد أن خطط المعادون للترويج للعامية . أن هذا يدعونا لأن نميل الى تفسير صلتهم بالماسونية على أنها كانت فى أغلبها اعرابا عن اعجابهم بمساندتها للثورات ضد الاستبداد فى العصر الحـديث والتى بدأت بالثورة الفرنسية دون المام أو اكتراث بحقيقة أهدافها ، كما أن هذه الأهداف لم تكن معلومة بوضوحها الحالى فى زمن جمال الدين وتلاميذه،

= ولكن يبدو أن هذا الوضوح قد جاء متاخرا وبعد تركه للسلطة فى الغالب ، وهنا ينبغى أن نوضح أن جمال الدين ومحمد عبده قد اعتزلا هذه المحافل بعد أن اتضح لهما بعض أهدافها .

(١) حينما ثار عرابى على نظام الحكم الفاسد والتدخل الأجنبى فى مصر لم يخطر بباله أن يخلع طاعة الخليفة أو يخرج عليه ، وكذلك فان الاعتراف بسلطة الباب العالى والخلافة جاء فى مقدمة برنامج الحزب الوطنى ، ولما صدر قرار الجمعية العمومية المؤيد لعرابى فى عزل الخديو توفيق اختتم بالاعتراف بالولاء للسلطان ، وكان اتهام توفيق لعرابى بالخروج على الخلافة ، كما كان تدخل الانجليز تحت ستار عصيان عرابى للخليفة . مذكرات عرابى : جـ ١ ص ٧١ ، ١٩٨ ، جـ ٢ ص ١٧ ـ ٢٠ . ؛ د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية جـ ١ ص ١٧ . ؛ عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية ص ٣٩٠ . ؛ القضية المصرية : ص ٢٤ . وكان حرص عرابى وصحبه على ابراز الوجه الاسلامى عاملا من أهم عوامل تأييده من قبل كافة المصريين من فلاحين وعمد ومشايخ وغير ذلك ، ومن هنا نعترض على ما يراه البعض من أن سياسة الاحتلال الرامية لفصل مصر عن الدولة العثمانية كانت موافقة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية لمصالح العمد والمشايخ حيث أنهم فى تأييدهم لعرابى كانوا قد غلبوا الجانب العقائدى على أية جوانب أخرى . د. عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٦٨ .

ويرى بعض المعتدلين بأنه لا ينبغى مجاراة من « خدعتهم العجلة عن الأناة فى التعرف على الرجل فرددوا ما يعمد الى اذاعته واشاعته عن المصلحين الاسلاميين أعداء الاســـلام الذين يشنون منذ زمن بعيد حملات التشويه على كل مصلح أو مجدد من أبناء الاسلام » (١) ٠

وتجــدر الاشـــارة الى أن جمال الدين ومحمد عبده وبعض تلاميذهما قد نفضوا أيديهم من هذه المحافل وممن بقى على الولاء لها ، وأن سبب استمرار جمال الدين فى انكار أسماء تلاميذه بعد ذلك كان حماية لهم من « كيد وكلاء الدول وجواسيس الحكومة ، وتمكينا لهم من العمـــل مع اخوانهم بمأمن من أعين الرقابة وحبائل الاغراء والدسيسة » ٠ ويرجح أن تكون هذه المجموعة هى التى تألفت منها جماعة « العروة الوثقى » (٢) ٠

ومن الأمور التى شاعت عن جمال الدين دعوته لفكرة الجامعة الاسلامية وهو أمر نال رواجا وعناية كبيرة من قبل الشعوب الاسلامية فى مصر وغيرها ، وقد تلاقت هذه الدعوة مع أهداف الخليفة العثمانى (عبد الحميد الثانى) أو ربما كانت بوازع منه فى محاولة للوقوف بالمسلمين ضـــد أطماع الاستعمار الغربى فى الدولة العثمانية(٣) ، وهو أمــر دعـــا البعض لأن يعتبر الدافع اليها سياسيا لا دينيا ، ويؤكد ذلك الاطار الذى كان يريده جمال الدين لهـــذه الوحدة ، فهى فى نظره وحدة سياسية تقوم على تعاون الحكام المسلمين بحيث يكون سلطانهم القرآن ووجه وحدتهم الدين على أن يحتفظ كل وطن

---

(١) د٠ على عبد الحليم محمود : المرجع السابق ص ١٤٧ ٠

(٢) العقاد : المرجع الســابق ص ١٣٦ وما بعدها ٠ ؛ أحمـــد أمين : زعماء الاصلاح ص ٧٢

(٣) د٠ محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ـ الانجلو المصرية ـ القاهرة سنة ١٩٦٣ ص ٢٤١

اسلامى بملامحه القومية(١) ، وهو ما ارتكز عليه البعض فى أن يلقب جمال الدين بأبى القومية(٢) . ويعتبر هذا الاتجاه عند جمال الدين - فى رأى المحافظين من أتباع الفكر الاسلامى - مناقضا لدعوة الجامعة الاسلامية حيث أنهم لايقبلون أن تبنى الوحدة الاسلامية على أطرقومية، لذلك نجد السلطان عبد الحميد لا يجد فى أسلوب جمال الدين ما يحقق أهدافه فيخرجه من البلاد ويهاجمه ويعلن غضبه عليه(٣) .

على أنه من الانصاف أن نذكر أن تصور جمال الدين للاصلاح قد لقى رواجا لدى كثير من المجددين ومن المفكرين المسلمين ، فقد كان يرى أن اصلاح الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتى تتمثل فى الخلاص من الاحتلال أولا ثم بتولى أبناء كل وطن النهوض به واصلاحه داخليا فى اطار حركة دينية شاملة(٤) ، وأنه لو تحقق ذلك لأمكن النهوض - من خلال التحالف والتعاون - بالعالم الاسلامى

(١) د. زكريا سليمان : الاخوان المسلمون ص ١١ . ؛ د. محمد البهى - المرجع السابق ص ٩١ . -
Smith, W. C. Islam in modern history, p. 89.

(٢) د. عثمان أمين : المرجع السابق ص ٣٦ . - د. عبد المنعم جميعى : عبد الله النديم ص ٢٣ .

(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد الثانى . ؛ جورج أنطونيوس : يقظة العرب تعريب على حيدر الركابى - مطبعة الترقى - دمشق سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦م) ص ١٠٢ ويذكر المؤلف أن جمال الدين كان يرى توحيد المسلمين تحت خليفة واحد دون اهتمام بجنس ذلك الخليفة ، وقد يكون ذلك من أسباب غضب السلطان عليه .

(٤) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام جـ ١ ص ٧٣ حيث يذكر عن السيد جمال الدين أنه كان يرجع نهضة أوربا المعاصرة الى الاصلاح الدينى ، ويؤكد من خلال ذلك ضرورة القيام بحركة دينية اسلامية تقلع ما رسخ فى عقول العوام والخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها الحقيقى مثل حملهم القضاء على معنى يوجب ألا يتحركوا لطلب مجد ولا لتخلص من ذل ومثل فهمهم لبعض الأحاديث الشريفة الدالة على فساد آخر الزمان الذى حملهم على عدم السعى وراء الاصلاح .

كله وبالتالى حمايته من الوقوع فريسة للدول الاستعمارية ، وبمعنى آخر لقد كان هدف جمال الدين المباشر هو تحرير المسلمين من الظلم والاستبداد الداخلى ومن السيطرة الأجنبية (١) ، كما أن جمال الدين وكثيرا من المفكرين فى مصر والعالم العربى والاسلامى كانوا يدركون سيادة الطورانية (القومية التركية) فى تركيـا(٢) ، وأن اتفـاق السلطان عبد الحميد ورجال تركيا الفتاة فى الدعوة للجامعة الاسلامية كان لمصلحة تركيا لانقاذها من السقوط أمام دول أوربا(٣) ، فضلا عن أن أعمال الأتراك العنيفة فى بلاد الشام كانت دافعا قويا لدعوة مفكرى الشام الى العربية (خلافة أو قومية) دون الجامعة الاسلامية رغبة فى التخلص من نير الأتراك ، ومن هنا كان حماس جمال الدين لمهاجمة الفساد ـ حتى فى تركيا ـ مساويا لحماسه فى الدعوة لفكرة الجامعـة وهو السبب الحقيقى لغضب الباب العـالى عليه ٠ وحتى مصطفى كامل كان تمسكه بالخـلافة فى رأى البعض للتخلص من الاحتلال وليس هدفا فى حد ذاته ٠ ومن هنا كانت دعوة جمال الدين لنهوض كل وطن بنفسه أو ينجح فى تأسيس دولة واحدة على الأقل لقيادة العالم الاسلامى كله فى معترك السياسة الدولية وفى تنفيذ

---

(١) د٠ مكى شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل ص ٥٦٠ حيث يذكر أن الخديو اسماعيل ووزراؤه لم يجدوا خطرا فى اتجاهات جمال الدين فابقاه فى مصر ؛ مجيد خدورى ـ المرجع السابق ص ٧١

(٢) على أن هذا لا ينفى صدق السلطان عبد الحميـد فى دعوته للجامعة الاسلامية ، لكن موجة المعارضة التى واجهها فى تركيا تجعله لا يمثل سـوى نفسه ومجموعة قليلة من السياسيين حوله ٠ أنظر : برنارد لويس : الغرب والشرق الأوسط ت : د٠ نبيل صبحى ص ١٢١ كما أن هذا الاتجاه قد لقى تأييدا من قطاعات محافظة من الشعب التركى ٠ أنظر : د٠ السيد محمد الدقن : دراسات فى تاريخ الدولة العثمانية ص ١٣٢ ٠

(٣) د٠ جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، دار المعارف سنة ١٩٧٩ جـ ١ ص ١٩٢ ٠

برامج النهضة والهداية العملية ، كل هذا فى سبيل تحقيق الوحدة الاسلامية ، وكان ذلك أكثر قبولا لدى كثير من المفكرين المجددين والمعتدلين(١) ٠

أما عن آراء جمال الدين فى الاصلاح الاجتماعى فقد أرجعها الى ضرورة البدء بالاصلاح الدينى الذى يقوم على العودة للأصول الدينية الحقة من قرآن وحديث ، وتحرير الفكر الدينى من قيود التقليد وفتح باب الاجتهاد ٠ وقال فى هذا انه لا يصح أن يعتقد المسلمون أنهم أحاطوا بكل أسرار القرآن أو تمكنوا من تدوينها فى كتبهم ، وأن ما وصل اليه المسلمون فى اجتهاداتهم بالنسبة للقرآن يعتبر قطرة فى بحر أو ثانية فى دهر ، كما أنه كان يرى ضرورة التوفيق بين العلم والايمان ، « وأن الدين لا يصح أن يخالف الحقائق العلمية ، فان كان ظاهره المخالفة وجب تأويله اذ لا يمكن أن تأتى العلوم والمخترعات بالقرآن صريحة وواضحة وهى فى زمن التنزيل مجهولة من الخلق ، ولو جاء القرآن وصرح بالسكك الحديدية والبرق وما تفعله الكهرباء من العجائب وغير ذلك لضلت الناس وأعرضت عنه وحسبته كذبا » (٢) أى أنه كان يدرك أن الأمر يتطلب اعادة تفسير النصوص الدينية بشكل يدعها تسهم فى حل كافة القضايا الاجتماعية والاقتصادية للمسلمين أولا ، وتجعلهم ـ أى المسلمين ـ يستوعبون مميزات الحضارة الغربية (٣) ٠ ومن هنا نرى صواب القول بأن « دمج الأفغانى المادية الأوربية بالروحانية الاسلامية هو أهم اسهام له

(١) العقاد : المرجع السابق ص ١٢٧ ؛ د٠ على عبد الحليم محمود حيث القى تبعة كثير من جوانب الانحطاط على الدولة العثمانية ٠ المرجع السابق ص ٣٣١ ٠

(٢) د٠ على المحافظة : المرجع السابق ص ٧٤ ، ٧٥ (نقلا عن المخزومى ـ ص ١١٦) ٠

(٣) عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ١٠١ ٠ ؛
Haurani Op. Cit, pp. 155.

فى الفكر الاسلامى ، وأنه بذلك شق الطريق أمام المفكرين الآخرين الذين حاولوا ردم الهـــوة بين مؤيدى الفكر الغربى ومؤيدى الفكر الاسلامى(١) ٠

أما عن موقفه من الحضارة الغربية فقد رفض تقليد الغرب فى مختلف نواحى الحياة دون ضرورة وبلا تمحيص وامعان ، ولكن فى الوقت نفسه رأى ضرورة اطلاع العلماء المسلمين على التيارات الفكرية الحديثة والاستفادة منها على أن يكون ذلك وفق ميزان اسلامى واضح يحدد ما تقبله الشريعة الاســلامية وما يفيد المسلمين فى حياتهم ، وما ترفضه وهو ما يتعارض وعقيدة الاسلام والرد عليه بحجج منطقية معقولة ، وأن افتقار المسلمين الى هذا الميزان يوجب العودة لفتح باب الاجتهاد ٠

والذى يتمعن فيما طرحه جمال الدين فى خطته الاصـــلاحية يستطيع أن يتصور الاطار الذى يحدد موقف الشيخ محمد عبده فى الحياة السياسية والاجتماعية ، وان اقتصر دون الأخير ـ فى الغالب ـ على الاصلاح الدينى بما فيه اصلاح التعليم فى الأزهر الذى اعتبره مهمته الأساسية ٠ وقد ظهر مدى تأثره بالأفغانى فى هــذا المجــال فكتب مقدمة لرسالة الواردات ، ثم نسخ كتاب البصائر البصيرية بعد تخرجه وحتى يوجه عناية مشـــايخ الأزهر الى دراسة علم المنطق ، وتضمنت بعض مقالاته فى هذه الفترة الحض على الاهتمام بالعلوم العصرية ٠ واذا كان فى آراء الشيخ محمد عبده ما يستحق الاعجاب الا أن البعض يرى أن جرأته فى عديد من الفتاوى والآراء قد صدرت عن ايمان منه بقوة وازدهار الحضـــارة الغربية وضعف الحضـــارة الاسلامية وهو أمر جعل بعض هذه الآراء والفتاوى تعبر عن تنازلات من الجانب الاسلامى وفتح الباب للأفكار والقيم الغربية لتحل محلها ،

(٣) مجيد خدورى : المرجع السابق ص ٧١ ، ٧٢ ٠

كما أنها عبرت عن عجز المصلحين المسلمين فى العمل على احياء حضارة عصرية مصبوغة بالصبغة الاســـلامية الكاملة حتى ولو اعتمدت فى قيامها على الحضارة الغربية ، فى حين يرى البعض الآخر أن محمد عبده قد سلك سبيل أستاذه فى اثارة السخط على حكام المسلمين المستبدين الذين أدت أعمالهم الى ضعف العالم الاسلامى ، وأن نهضة المسلمين لن تكون الا باحياء التراث الاسلامى ، وتشجيع قيام الحكم الدستورى (الشوروى) ، وبدا ذلك فيما كتبه من مقالات عن الشورى وفى تأييده للدعوة للحكومة النيابية التى دعا اليها العرابيون وكذلك دعوة رجال تركيا الفتاة ، وأخيرا دعا للأخذ بالعلوم العصرية كى يستكمل أسباب القوة(١) ٠

(١) عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٨٧ ٠

آراؤه السياسية

اول ما يتبـــادر الى الذهن فى موقف الشيخ محمد عبده من الناحيـــة السياسية هو قولته المشهورة فى كتابه عن الاســـلام والنصرانية : « أعوذ بالله من السياسة ومن لفظ السياسة ٠٠ ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس » ، و « أن السياســـة ما دخلت شيئا الا أفسدته » (١) ، و « ان شئت أن تقول أن السياسة تضطهد الفكر أو العلم أو الدين فأنا معك من الشاهدين » ، ويعد هذا الموقف فى نظر المحافظين اساءة بالغة الى الفكر الشمولى الاســـلامى الذى لا يرى فرقا بين ما هو دين وما هو سياسة ٠ ويقرن هـذا الجناح ـ أى المحافظون ـ بين هذا الموقف لمحمد عبده وبين ميله الى التجديد وموقفه من الحضارة الغربية الموافق لرأى أستاذه جمال الدين والرامى الى ضرورة الاستفادة منها وهى أمور دعتهم لاتهامه ـ وهى ميزة له فى نظر الكتاب الغربيين والمجددين ـ بالميل الى الليبرالية Libralism

على أن محمد عبده حينما أعلن هذا المفهوم لم يكن يقصد منه

---

(١) د٠ عثمان أمين : المرجع السابق ص ٢١٨ ٠ ؛ العروة الوثقى : النصرانية والاسلام وأهلهما ص ٦٢ وما بعدها ٠ ؛ رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام : ج ٣ ص ١٨١ وما بعدها ٠ ؛ المنار : ج ١ م ١٢ ص ٢ ٠ ؛ العقاد : المرجع السابق ص ١٦٤ ٠

(٢) د٠ محمد محمد حســـين : الاتجاهات الوطنيـــة ج ١ ص ٢١٨ : =

الاساءة الى مفهوم الشمولية فى الفكر الاسلامى أو حتى انكاره ، لكنه كان رد فعل لتركيز أغلب أتباع الفكر الاســـلامى وانحصارهم فى الجانب السياسى مهملين بقية الجوانب ، ومع أنه كان يرى ضرورة العمل على اجـلاء الاحتـلال البريطانى الا أنه كان متشائما من أية حكومة تعقبه والبـــلاد لا تزال على حالها ، فاما أن تصبح حكومة استبدادية أقسى من المحتل ، أو أنها تؤدى ـ كما حدث من قبل ـ الى الاحتلال ثانيا(١) ٠

ولقد كان محمد عبده فى هذا متأثرا بفكر جمال الدين فى أن « القوة النيابية لأى أمة لا يكون لها قيمة حقيقية الا اذا نبعت من نفس الأمة ، وأى مجلس نيابى يأمر بتشكيله ملك أو أمير أو قوة أجنبية محركة له فهو مجلس موهوم موقوف على ارادة من أحدثه » ، ومن هنا حدد الأفغانى ومحمد عبده وجهتيهما « ان العقول والنفوس هى المقدمة والحكومة الصالحة هى النتيجة » (٢). ولذلك يرى البعض ـوهم من دعاة التجديدـ أن بذل الجهود الاصلاحية في النواحى الدينية ـ من الزاوية الاسلامية ـ والتى تشمل النواحى الأخلاقية والاجتماعية هو من قبيـــل العمـــل السياسى ، وعليه لا يعتبرون محمد عبده ـ رغم تصريحه ـ قد ابتعد كثيرا عن الحياة السياسية وبخاصة أن نتاج آرائه الاصلاحية كان له تأثيره المباشر وغير المباشر على الحركة الوطنية المصرية(٢) ، كما أنه قد وجد نفســـه مرغما فى كثير من الأحيان على التدخل فى الأحداث السياسية وبالتالى تولدت له علاقة بالقوى السياسية ، وقد اتضح ذلك فى مواقفه منذ الثورة العرابية ٠

Ahmed, Mohammed Gamal, The intellectual Origins of Egyptian Nationalism, London Oxford University press 1960, p. 33.
Smith W.C. Islam in modern history p. 72.

(١) قدرى قلعجى : محمد عبده ص ٦٩ ، ٧٠

(٢) محمد فتحى عثمان : المرجع السابق ص ٢٨٧ ٠

(٣) أحمد أمين : زعماء الاصلاح ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ ٠ ؛ =

موقفه من الثورة العرابية

لا شك أن جمال الدين الأفغانى كان له دور كبير فى الاعداد لهذه الثورة وسانده فى ذلك تلاميذه وفى مقدمتهم الشيخ محمد عبده حيث أسهموا فى تبصير المصريين بواقعهم وأحوالهم وبما ينبغى أن يفعلوه ، وكان ذلك عن طريق الصحف التى كان الأفغانى وراء تأسيس أغلبها والاشراف عليها وتوجيهها وساعده تلميذه محمد عبده فهيأوا الرأى العام لمساندة أية جهود اصلاحية (١) .

وحينما لوح العرابيون باستخدام السيف أعلن الشيخ ـ وكان ذلك بعد خروج أستاذه من مصر ـ رفضه لهذا الأسلوب ، وندد بزعمائهم وهو بينهم ، وعلل موقفه بأن هذا الأسلوب يقضى على الخطوات المبذولة من أجل الاصلاح ولأنه قد يجر على البلاد احتلالا أجنبيا . وقد انزعج عرابى وصحبه من أسلوب الشيخ الذى تابعهم فى أنديتهم وعلى صفحات الجريدة الرسمية ، مما أدى الى أن يرسل عرابى من يتهدد الشيخ فى مكتبه ويبلغه أنه قد أهان الشرف العسكرى ، وأصر الشيخ على موقفه وطرد رسول عرابى ، ووصل الأمر الى حد أن العرابيين كانوا ينفضون من أى مجلس هو فيه (٢) .

Fisher Sydney Nettleton, Social forces in Middle East, p. 166 =

(١) عبد المنعم حمادة : محمد عبده ـ القاهرة سنة ١٩٤٥ ص ٨٣ .

(٢) محمد رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ١٤٦ . واتفق مع الشيخ فى هذا عبد الله النديم لكنه لما عرف حقيقة العرابيين انضم اليهم ووقف بجانبهم . د. عبد المنعم الجميعى : عبد الله النديم ص ٦٢ ، ٦٣ .

على أن الخلاف بين الشيخ والعرابيين كان فى الأسلوب لا فى الهـــدف ، ففى الوقت الذى أعرب فيه عرابى عن رغبتـه فى اقامة جمهورية فى مصر فى خطاب أرسله للمستر بلانت(١) ، وعبر عن نفس الرغبة محمود سامى البارودى(٢) ، كان محمد عبده يطمع فى انشاء نظام جمهورى فى مصر على غرار النظام القائم فى أمريكا لكن بالأسلوب السلمى لا بالقوة(٣) ٠

وقد كان هـــذا الخلاف موضع مناظرة بين الطرفين فى منزل طلبه باشـا حيث تحدث العرابيون عن الاستبداد والحرية والحـكومة المطلقة والحكومة النيابية الدستورية ، واتفقوا على أن الأمن على الأرواح والأموال ، وصعود الأمة فى مراقى الكمال من آثار الحكومة المقيدة

---

(١) أرسل عرابى خطابا للمستر بلانت يقول فيه : « خلع اسماعيل فزال عنا عبء ثقيل ولكنا لو كنا قد فعلنا ذلك بأنفسنا لكنا تخلصنا من أسرة محمد على بأجمعها ، ولم يكن فيها أحد جدير بالحـكم سوى ســعيد ، وكنا عندئذ أعلنـــا الجمهورية »

Blunt, W. S. : Secret History, p. 345.

د٠ محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، جـ ١ ص ١٥٩ ٠

(٢) أرسل البارودى خطابا مماثلا يقول فيه : «كنا نرمى منذ بداية حركتنا الى قلب جمهورية مثل سويسرا ولكنا وجدنا العلماء لم يستعدوا لهـــذه الدعـــوة لأنهم كانوا متأخرين عن زمنهم ، ومع ذلك سنجتهد فى جعل مصر جمهورية قبل أن نموت ٠ د٠ محمد حسين : المرجع السابق ، ص ١٥٩ ٠ ؛ د٠ نجلاء عز الدين : المرجع السابق ص ١١٦ ٠

(٣) Blunt, W. S. : Op. Cit., p: 243.

ويقول الأستاذ عباس العقاد أن « الشيخ محمد عبده كان ثائرا ولكنه لم يكن عرابيا لأنه كان على خلاف مع أحمد عرابى فى برنامجه العملى » ، كما يقول أن الشيخ كان يأمل أن تؤدى هذه الحركة الى اصلاح نظام الحكم واشراك الوطنيين فى نظام جديد وكذلك اصلاح البلاد والنهضة بها ٠ عباس العقاد : محمد عبده ص ١٤٦ ٠ ؛ د٠ عثمان أمين : المرجع السابق ص ٤٥ ٠ ؛ د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ص ١٩٤ ٠ ؛ عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٨٩ ٠

بلا جدال وأن هذا التحويل قد آن فى مصر أوانه • لكن الشيخ عارض هذا الرأى وقال أن أول ما يجب أن يبــدأ به هو التربية والتعليم لتكوين رجال يقومون بأعمال الحـكومة النيابية على بصـيرة مؤيدة بالعزيمة وحمل الحكومة على العدل والاصلاح وتعويد الأهالى على البحث فى المصالح العامة ، وبرر الشيخ ذلك بأنه « ليس من الحكمة أن تعطى الرعية ما لم تستعد له فذلك بمثابة تمكين القاصر من التصرف بما له قبل بلوغه سن الرشــد ، وأنهى الشيخ المجادلة مع عرابى بقوله : « أن الأمة لو كانت مستعدة لمشاركة الحكومة فى ادارة شؤونها لما كان لطلب ذلك بالقوة العسكرية معنى فما يطالب به رؤساء العسكرية الآن غــير مشروع لأنه ليس تصــويرا لاســتعداد الأمة ومطلبها ، ويخشى أن يجر هذا الشعب على البلاد احتلالا أجنبيا يســجل على مسببه اللعنة الى يوم القيامة » (١) •

ولما أبلغه عرابى أن موقفــه تعبير عن موقف الأعيــان الذين سيجمعهم سلطان باشا عارضه الشيخ قائلا : « أن المعهود فى سير الأمم وسنن الاجتماع القيام على الحكومات الاستبدادية وتقييد سلطانها والزامها الشورى والمساواة بين الرعية انما يكون من الطبقات الوسطى والدنيا اذا فشــا فيهم التعليم الصحيح والتربية النافعة وصــار لهم رأى عام • وأنه لم يعهد فى أمة من أمم الأرض أن الخواص والأغنياء ورجال الحكومة يطلبون مساواة أنفسهم بسائر الناس وازالة امتيازاتهم واستئثارهم بالجاه والوظائف بمشاركة الطبقات الدنيا لهم فى ذلك فكيف حصل فى هذه المرة ومن أهل هذا المجتمع ؟ وهل تغيرت سنة الله فى الخلق وانقلب سير العالم الانسانى ؟ (٢) •

---

(١) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ص ١٤٦ ، ١٤٧ • ؛ د• أحمــد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ص ١٩٤ • ؛ عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٨٩ •

(٢) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ص ١٤٧ ، ١٤٨ •

ولكن على الرغم من ذلك فان الشيخ قد انضـــم للعرابيين فى أعقاب وقوع أحداث الثورة ، وفسر ذلك بأن الاجتماعات المتعـددة للحصول على الدستور برئاسة سلطان باشا ومؤازرة عرابى وصحبه من قبل رجال من جميع الأجناس والأديان فى مصر لاعتقادهم أنها حرب بين المصريين والانجليز ،كما أن لجوء الخديو الى الانجليز وانضمام الشعب لعرابى قد قسم البلاد الى معسكرين كان عليه أن يختار أيهما فاختار جانب الثوار ، وعبر موقفه بقصيدة قال فيها : ــ

مجدى بمجد بلادى كنت أطلبه

وشيمة الحر تأبى خفض أهليه(١)

وقد اتفق مع الشيخ بعد ذلك مصطفى كامل ــ رغم اختلاف منهجيهما ــ فى الشعور بالضيق تجاه الثورة العرابية ، وكان ذلك نتيجة للشعور باليأس الذى انتاب المصريين بعد فشل الثورة وحدوث الاحتلال(٢) ، ووحدهما هذا الشعور وحده فى الدعوة لحكومة نيابية صالحة بعد أن ساد الاعتقاد بأن السبب الرئيسى للاحتلال هو الحكومة الفاسدة التى ثار عليها عرابى(٣) ، لكن مصطفى كامل كان يرى فى هذه الحكومة سببا لا نتيجة ، أى أن قيام هــذه الحكومة بعد جــلاء الاحتلال هو خير ضمان لبناء البلاد وانهاضها ، ومع ذلك لم يستطع أن يوضح تصوره الكامل لشكل نظام الحكم وكيفية قيامه ، ويمكن

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ . ؛ عبد الحليم الجندى : المرجع السابق ص ٣ ، ٣٥ .

(٢) د. عثمان أمين : المرجع السابق ص ٢١٩ . ؛ محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ جـ ٣ ص ١٨٢ . ؛ د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية : جـ ١ ص ٨١ . ؛ رجاء النقاش : افتراءات مصطفى كامل على أحمد عرابى ، مجلة الهلال نوفمبر سنة ١٩٧٦ ص ٧٨ .

(٣) حول هذا المفهوم انظر :
Fisher, Sydney Nettleton : Op. Cit., p. 166.

أن نرجع ذلك لسببين أولهما خشيته من اغضاب الخديو عباس حلمى الثانى الذى كان مؤيدا ومدعمـــا لحركته ، والثانى هو انشغاله فى قضية الجلاء مرجئا هذه التفصيلات الى ما بعد ذلك ٠

على أن اتجاه مصطفى كامل هذا فى مجمله قد حظى بتأييد أغلب المحافظين من أتبـاع الفكر الاسلامى الذين كانوا يرون أن البـــدء بحكومة صـــالحة هو الكفيل باخراج البـــلاد مما هى فيه ، لكنه كان تأييدا مشوبا بالحذر لخلوه من المضمون الاسلامى حيث لم يشر الى الخليفة والخلافة والشـــورى وغير ذلك ٠ لكن دعوة مصـــطفى كامل للوطنية ومحاولة اثبات عدم معارضتها للدين وكذلك دعوته للارتباط بالسلطان وبدولة الخلافة وممثلها الشرعى في مصر وهو الخديو قد بددت ـ رغم غموضها ـ أغلب الشكوك التى كانت تحيط بمنهجه لدى أغلب هؤلاء المحافظين ٠

وأدى فشـــل الثورة العرابية ووقوع مصر تحت الاحتـــلال البريطاني وانهيار سياســـة الأفغـــانى الرامية الى تحرير الشعوب الاسلامية من الاستعمار الغربى الى أن يعود الشيخ لمطالبه الممثلة فى الاصلاح الأخلاقى والتعليمى والدينى بوجه عام ، وترك السياســـة للسياسيين موقنا بأن النتيجة لن تكون فى صالح الشعب لو ظـــل مهملا وترك على ما هو عليه حتى لو خرج الاحتلال ، أى أنه عاد ليرى الحكومة نتيجة لابد أن تسبقها خطوات اصلاحية لانهاض البلاد واحياء النفوس واعداد جيل قادر على القيام بما يعهد اليه ، وبحيث يصبح الشعب هو المصدر الحقيقى لكل سلطة ويسهم فى حياة دستورية تحد من سلطة أى حاكم وتحرر البلاد من الاحتلال ٠ وهناك رأى يرى أن تأييده للثورة العرابية كان يحمل وراءه الأمل فى الاصلاح لو قدر لهذه الثورة النجاح ، أى أن نزعته الاصلاحية كانت تكمن وراء موقفه السياسى(١) ٠

---

(١) عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٩٠ ٠

رأى الشيخ فى اصلاح نظام الحكم فى مصر

اعتبر الشيخ فترة الاصلاح فترة انتقالية تتطلب حاكما مستبدا عادلا نزيها شجاعا حازما « أصيل الرأى عالى الهمة رفيع المقصد » (١)، وأن يوكل اليه مهمة العمل على اتحاد الأمة بالاقناع أو بالقوة كى تطبق مبادىء الاصلاح الأخلاقى ٠ كما أن عليه أن يختار معاونيه فى الحكم من أصحاب الذمة وأقوياء الشكيمة وأصحاب الارادة القوية أو ما يسميها البعض بالصفوة المستنيرة ، وتطهير أجهزة الحكم من محترفى السياسة من ضعاف النفوس والمتخاذلين والديماجوجيين(٢)٠ ولم يجد الشيخ ما يدعو الى وجود مجالس نيابية فى هذه الفترة لأنها ستصبح قوالب منقولة بلا روح تسبق فهم الجماهير لدورها فتفقد قيمتها ٠ وحدد الشيخ هذه الفترة الانتقالية بخمسة عشر عاما » وهى سن مولود يبلغ الحلم ، يولد فيها الفكر الصالح وينمو تحت رعاية الولى الصالح ويشتد حتى يصرع من يصارعه ٠ خمس عشرة سنة يثنى فيها أعناق الكبار الى ما هو خير لهم ويعالج ما اعتل من طباعهم بأنجع أنواع العلاج ومنها الكى والبتر اذا اقتضت الحال ٠٠٠٠ خمس عشرة سنة تحشد لها جمهورا عظيما من أعوان الاصلاح من صالحين كانوا ينتظرونه ، وآخرين رهبوه فاتبعوه وغيرهم رغبوا فى فضله

---

(١) العروة الوثقى ، وقد نفى جمال الدين أنه دعا بالمستبد العادل حيث لا يمكن الجمع بين الأضداد ، وكان يريد القوة المقيدة بالعدل وهذا نفسه ما دعا اليه محمد عبده ٠ أنظر : د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى : أفكار جمال الدين الأفغانى السياسية ، مجلة الجمعية التاريخية ،المجلدان التاسع والعاشر ١٩٦٠ ـ ١٩٦٢ م ٠

(٢) د٠ عثمان أمين : المرجع السابق ص ٢٢٣ ٠ ؛ رشيد رضا : تاريخ الاستاذ ج ١ ص ٦١٥ ٠ ؛ عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٢٠٥ ٠

فجاروه » (١) · واذا ما استقر هـــذا النظام فعلى الحاكم أن يمنح الشعب الحرية تدريجيا فيبدأ بتشكيل المجالس البلدية ثم مجالس ادارة يســـتفاد فيها بالآراء والأفكار ، ثم تنتهى بالمجالس النيابية وتحديد السلطات ، وطرح الشيخ فكرة القانون الذى رأى أنه أداة الحكم فى تحقيق النظام المستقر(٢) ·

وعن حديثـــه عن الســـلطة فى الاســـلام أكد أنه يخالف « الثيوقراطية » عند الغرب لأن الســـلطة فى الاســـلام قائمة على اعتبارات دنيوية وليس لها سند دينى ، ولأن الأمة هى التى تنصب الحاكم فهى بالتالى مصـــدر كل سلطة ، ومن هنا فان الحاكم قائم لمصلحة البشر ولمراعاة أحوالهم المتغيرة والمتطورة(٣) · لكن الشيخ لم يكن يعنى أن هناك فصلا بين الدين والدولة فى الاسلام ، بل كان يؤمن ـ كغيره من المفكرين المسلمين ـ ايمانا قاطعا أن الاســـلام نظام شامل لأمور الدين والدنيا لأنه ـ أى الاسلام ـ « دين وشرع وضع حدودا ورسم حقوقا ، والحاكم يجب أن يقيم العـــدل الذى يطالبه به الدين والأمة معا ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فاذا فارق الكتاب والسنة فى عمله وجب على الأمة أن تستبدل به غيره ما لم يكن فى استبداله مفسدة تفوق المصـــلحة فيه » (٤) ·

---

(١) يقول الكاشف فى رثائه لمحمد عبده :

وقضيت فيهم مستبدا عادلا   فجمعت شملهم وانت المفرد

د· محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ج ١ ص ٢٥٥ نقلا عن ديوان الكاشف ج ٢ ص ١٢٢ ـ ١٢٤ ·

(٢) عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٨٣ ·

(٣) تضمن رد الشيخ على فرح أنطون الحديث عن الفرق بين السلطة فى المسيحية والاسلام · د· محمد عمارة ـ الأعمال الكاملة للامام محمد عبده · ج ٣ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٨ ·

(٤) المرجع السابق ص ٢٨٧ ·

وهذا يلتقى مع مفهوم السلطة التى حددها الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه « أطيعونى ما أطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لى عليكم » ، وقد أكد الشيخ فى هذا النظام على موضوعات رئيسية هى الحرية والشورى والقانون(١) ٠

ومن هنا يمكن التأكيد على أن تصور الشيخ للحكومة النيابية لم يكن تصورا أوربيا بحتا بل كان متأثرا بالفكر الاسلامى تأثرا واضحا ــ وهذا لا ينفى تأثره بآراء روسو وغيره ــ وهو أمر دلت عليه مقالاته عن الشورى على الحاكم والمحكوم وضرورة احترام الرأى العام(٢) ، ودعوته للتمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة(٣) ٠ كما أنه قد جعل الاصلاح السياسى تابعا لاصلاح أخلاقى شامل يستمد تصوره من العقيدة الاسلامية(٤) ٠ ويبدو كذلك من حرصه على ابعاد شبهة تخلف المسلمين عن الدين الاسلامى ذاته ، وانما التخلف يعود الى جهل كثير من حكام المسلمين بتعاليم دينهم وبالتالى أسندوا الى الدين

---

(١) المرجع السابق ص ٣٨٦ ٠ ؛ عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ١٧١ وما بعدها ٠

(٢) د٠ محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية جـ ١ ص ١٥٦ نقلا عن الوقائع المصرية فى ٢٤ ، ١٨٨١/١٢/٢٥م ٠ ؛ رشيد رضا : تاريخ الاستاذ ـ جـ ٢ ص ١٩٧ وما بعدها ٠

(٣) د٠ محمد البهى : الفكر الاسلامى الحديث ط ٨ ص ١١١ ٠ ؛ لكنه كان يرى أن القانون الصادر عن الرأى العام هو الحقيق باسم القانون ، وكان فى هذا متأثرا باسناذه فيما نقله عنه الهلباوى أن الفقه الغير متصل بقضايا الواقع لا يستحق الدراسة ٠ عبد الحليم الجندى : محمد عبده ص ٣٤ هامش (١) ٠

(٤) كتب أحد تلاميذ محمد عبده وهو رفيق العظم مقالا رفض فيه أن يبنى الاصلاح على أساس غير الدين وهذا يؤكد أن اتجاه الشيخ لم يكن عنده أو عند تلاميذه علمانيا خالصا ٠ المقتطف : مايو سنة ١٩٠٤ ص ٤٠٢ ٠

ما ليس فيه وأبعدوا الناس بالتالى عن الاشتراك فى الأمور العامة . كما أن بعد الفقهاء عن مواصلة الاجتهاد وجهلهم بالنواحى السياسية جعلهم « لا يعرفون كيف يجعلون الأمراء والحكام يلتزمون هـــذا الحكم وينفذونه ولهذا ضاع الدين والسياسة ، واحتقرهم الأمراء والسلاطين فى أنفسهم واستخدموهم لأغراضهم التى تؤيد سلطتهم ونفوذهم وحملوهم على الفتوى بما يؤيد رغائبهم ، ولا يوافق الشرع فدققوا النظر واستنبطوالهم ما يطلبون وأفتوهم بما يشاؤون » (١) .

وعلى الرغم من ذلك لم ينل هذا التصور تأييد المحافظين من أتباع الفكر الاسلامى سواء لكونه نظاما جمهوريا ديمقراطيا أم لأنه قاصر على مصر وهى أمور كانوا يعتبرونها مناهضة لفكرة الجامعـــة الاسلامية ومناهضة كذلك لتصورهم عن نظام الحكم الاسلامى .

وحرص الشيخ على تأكيد الوحدة الوطنية فى هذا النظام بين كافة فئات الأمة وطوائفها ، وكان هذا المفهوم للوطنية ـ الذى أعده الشيخ من أقوى الروابط بين مجتمعات الشرق ـ يلقى ارتياحا لدى المجددين وذلك لكونه يلتقى عند هدف مكافحة الاستعمار وتوحيد الأمة الاسلامية من أجل هذا الهدف(٢) .

على أنه اذا كان محمد عبده قد أخذته الجرأة فى عرضه لتصوره عن هذه الحكومة دون أن يأبه بأثر ذلك على الخـديو (عباس حلمى الثانى) فذلك يرجـع الى أنه قد اســـتعان باللورد كرومر المندوب السامى البريطانى فى مصر والذى كان على عداء سافر مع الخديو ، وقد نال الشيخ بسبب هــذه الصلة هجـوم السياسيين والمفكرين

---

(١) عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٢) عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ١٦٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

المصريين من مجددين ومحافظين(١) • فالخديو عباس كان قد تقرب الى الشعب المصرى منـــذ توليه العرش (١٨٩٢ م) وأيد الحركة الوطنية المعارضة للاحتلال البريطانى التى تزعمها مصطفى كامل ، ولم يكن أحد يشك فى وطنيته فى بداية حكمه لدرجة جعلت كرومر يقول عنه فى أحد تقاريره أنه أصبح مصريا بحتا • أما كرومر فقد نجح فى تقريب محمد عبده وبخاصة بعد اصطدامه بالخديو عباس ، وأصبح كرومر سنده فى مشاريعه الاصلاحية فى الأزهر ومدرســـة القضاء الشرعى(٢) •

---

(١) يرى البعض أن كرومر هو الذى ساعد على عودة الشيخ الى مصر سنة ١٨٨٩ • أنظر :
Hourani, Albert : Arabic thought in the liberal Age (London "Oxford University press 1967 p. 134.

(٢) فى مناسبة الذكرى المائة لتأسيس محمد على للدولة المصرية (١٩٠٢ م) نشر محمد عبده مقالا هاجم فيه محمد على وشكك فى منهجـــه الدينى والاجتماعى والسياسى وأسند الى سياسته وعهده كثيرا من مظاهر الفساد فى البلاد • ويعتبر مثل هذا المقال دليلا على مدى العداء بين الشـــيخ والخديو ، وكذلك يعد فى نظر البعض ـ دليلا على صلة الشيخ بقصر الدوبارة الذى لولا مساندته لما جرؤ الشيخ على كتابة مثل هذا المقال • وقد بدت عدة حوادث دلت على سوء العـــلاقة بينهما كحادث كسوة التشريفة فى الأزهر وحادث الأوقاف ممـــا أدى الى مزيد من تقرب الشيخ من كرومر وزاد من غضب الخديو وهم بعزله من منصب الافتاء لولا تدخل كرومر الذى اعترض على ذلك ، وقد واصل الخديو الهجوم عليه لدرجة أنه غضب على الذين شيعوه بعد موته • كما أن مصطفى كامل قد نقل الى محمد عبده رغبة الخديو فى نفى صاحب المنار وذلك لأنه كان دائم المدح فى محمد عبده وطلب من محمد عبده ألا يحمل كرومر على المعارضـــة • د• عثمـــان أمين : المرجع السابق ص ٢٧٩ • ؛ أحمد أمين : المرجع السابق ص ٣١٣ ـ ٣٢١ • ؛
Goldschimdt, A. E. : The Egyptian national Party. p. 15
وانظر أيضا • د• نازك سابايارد : الرحالون العرب وحضارة الغرب فى النهضة العربية الحديثة ، مؤسسة نوفل ـ بيروت سنة ١٩٧٩ ص ١٨٥ هامش (٥) •؛ محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ جـ ١ ص ٤٧٩ ، ٥٥٨ ، ٥٧٢ • وقد ركز على =

مواقف الشيخ بين الخديو وكرومر

واذا كانت خطة محمد عبده الاصلاحية قد لقيت التأييد من الناحية النظرية من جانب أغلب المجددين الا أنهم قد أدركوا – وأدرك هو كذلك – أن الاحتلال لم يكن ليساعده الا بالقدر الذى يسهم فى تحقيق أهدافه ، وأنه – أى الاحتلال – كان سيقبر أية نظرية أو فكرة يدرك أنها ستثير المصريين عليه (١) ٠ وبمعنى آخر أن محمد عبده اذا كان قد حاول استغلال تأييد كرومر فى تحقيق بعض أغراضه الاصلاحية فى الأزهر وضرب سلطة الخديو – ويعتبره البعض فى هذا ميكيافيليا – (٢) ، فان كرومر هو الآخر قد أدرك أن تأييده له – ولزعماء حركة الاصلاح من تلاميذه – سيحقق له هدفين رئيسيين أولهما اشغال الرأى العام بما يطرح على بساط البحث من مسائل وما يثار من مشاكل فينصرف عن الانسياق فى تيار كراهية الاحتلال الذى كان يزكيه الحزب الوطنى ، والثانى هو تدعيم حجة استمرار الاحتلال لدى الدول الأوربية فى أنه فى بقائه يعمل على ترقية مصر واصلاحها ، فضلا عن التقاء رغبة كرومر مع رغبة الشيخ

= حادثة الأوقاف التى دمرت العلاقة بين الشيخ والخديو ودفعت الخديو لتأييد موقف مشايخ الأزهر المعارضين للشيخ فى الاصلاح ، واستكتبهم الشكاوى حتى استقال الشيخ من مجلس ادارة الأزهر ٠ ويرجع البعض سبب تدهور العلاقة بينهما الى وشاية مصطفى كامل والشيخ على يوسف ، عبد المنعم حمادة : محمد عبده ص ٢٠١ ٠

(١) المنار : ج ٣ م ١١ ص ١٩٠ ، ١٩١ ويؤيد هذا الرأى صاحب المنار ٠ ؛ د٠ نازك سابايارد : المرجع السابق ص ١٨٧ هامش (١) ٠

(٢) يقرر كرومر فى كتابه « مصر الحديثة » أن الخديو توفيق لم يعف عن محمد عبده ولم يعينه قاضيا الا تحت ضغط بريطانيا ، ولم يستطع محمد عبده أن يحتفظ بمنصبه فى الافتاء لولا تأييد كرومر ٠ المنار : ج ٢ م ١١ ص ٩٦ ٠ ؛ د٠ مجيد خدورى : عرب معاصرون – أدوار القادة فى السياسة ص ٣١٤ ٠ ؛ د٠ يوسف ايبش : رحلات رشيد رضا ٠ ص ٢٤٨ ٠

فى ضرب سلطة الخديو(١) . ومن هنـا يرى المحافظون أن الكسب الذى حققه كرومر من صداقة الشيخ فاق ما كان يطمع الشيخ فى تحقيقه ـ والذى لم يتمكن من تحقيقه ـ من هذه الصداقة ، كما أن ما حققه كرومر كان يحمل اساءة واضحة للحركة الوطنية المصرية والفكر الاسلامى بصفة عامة . فقد أوضح صـاحب المؤيد « الشيخ على يوسف » من خلال تعليقه على كتاب كرومر «Modern Egypt» ـ الذى صدر بعد وفاة الشيخ محمد عبده ـ « أن اللورد لم يكن صديقا للشيخ بقدر ما كان الشيخ صديقا له ، ولكن كان متمسكا بصداقته الظاهرية لأنه كان يريد أن يضع فى يده رجلا قوى العارضة لدود الخصام عدوا لتوفيق باشا أولا ولخلفه ثانيا ولاسماعيل باشا قبل ذلك . ولا مراء في أن المرحوم الشيخ محمد عبده كان يكره طائفة الباشوات كما يقول عنه اللورد من جهة وكان وطنيا صادقا من جهة أخرى ، فكان اللورد يحبه من الجهة الأولى ولا يستطيع أن يخلص له الحب من الجهة الثانية ، لذلك كان يطريه وهو ينتفع باطرائه » (٢) .

---

(١) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ج ١ ص ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٥٤ وبخاصة بعد تخلى الخديو عن مساندة الحركة الوطنية واتجاهه لجمع المال ، وقد اتفقت رغبة كرومر فى تشويه صورة الخديو أمام الشعب مع رغبـة محمد عبده فى مقاومة استبداده . أنظر : أحمد شفيق : مذكراتى ـ ٢ ب ص ٤٥ ، ٤٦ . ويرى الاستاذ العقاد أن الخديو حينما أراد استخدام الشيخ فى أغراضه تحت ستار مساعدته فى الاصلاح قد خشيه وتخطاه فى مشيخة الأزهر ، وكان تعيينه له فى منصب الافتاء حيلة مستترة لابعاده عن المشيخة . عباس العقاد : محمد عبـده ص ١٦٧ .

(٢) المنار : ج ٢ م ١١ ص ٦٧ . ومما يؤكد هذا هجوم كرومر على الشيخ فى كتابه Modern Egypt ، وفى التقرير الذى كتبه سنة ١٩٠٥م ويرجع ذلك ـ فى رأى المنار ـ الى ذمه لسياسة الاحتلال التعليمية ، وكذلك لأنه لقن المستر بلانت عيوب ادارة الاحتلال التى نشرها فى كتابه « التاريخ السرى للاحتلال » . المنار : ج ٢ م ١١ ص ٩٥ ، ١٨٦ .

وقد ذكر صاحب المؤيد أيضا أن أضعف الجوانب في أعمال آراء محمد عبده هو فكره السياسى حيث كان خياليا فى رغبته فى السيطرة على كل من الخديو وكرومر معا ، ورد صاحب المنار باظهار رغبة الشيخ الجارفة فى الاصلاح سواء عن طريق اللورد ان استطاع وأنه لم يكن فى ذلك خياليا بل انه هو السبيل الصحيح(١) ٠

وبصفة عامة شبه كرومر اتجاه محمد عبده بمدرسة السيد أحمد خان فى الهند (مؤسس جامعة عليكرة) (٢) ، ويقول أن أهمية هذا الاتجاهفى السياسة ترجع الى أنه يقوم بتقريب الهوة التى تفصل بين الغرب وبين المسلمين ، وأنه هو ـ أى محمد عبده ـ وتلاميذ مدرسته خليقون بأن يقدم لهم كل ما يمكن من العون والتشجيع ، فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الأوربى(٣) ٠

ومن هنا رأى البعض أنه كان من الواجب على محمد عبده أن يواصل خطه الأول فى طلب الجلاء واهاجة الشعور الوطنى ضد الاحتلال ـ أى يلتقى مع اتجاه مصطفى كامل ـ ، وأن يحاول

---

(١) المنار : ج ٢ م ١١ ص ١٠٢ ٠ ؛ وعن سياسة الاحتلال أنظر : نيودور روتشتين : تاريخ المسألة المصرية ، ت : عبد الحميد العبادى ومحمد بدران ط ٣ ـ القاهرة ١٩٥٠م ص ٣٣٥ وما بعدها ويسميها المؤلف (سياسة اللين الممزوج بالشد) ٠

(٢) جاء ذكر السيد أحمد خان (١٨١٧ ـ ١٨٩٨ م) فى مجلة العروة الوثقى من أنه كان يحوم حول الانجليز لينال فائدة لديهم وأنهم ساعدوه هادفين تفريق كلمة مسلمى الهند وبالتالى فان تشبيه محمد عبده به يعد تشويها لدوره ٠ أنظر : د٠ محمد البهى : الفكر الاسلامى الحديث ط ٨ ص ٣٩ وما بعدها ٠

(٣) د٠ محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية جـ ٢ ص ٣٠٧ ٠ نقلا عن تقرير كرومر السنوى عن مصر والسودان سنة ١٩٠٥م فى الفقرة ٧ ص ١٥ التى كتبها بمناسبة وفاة محمد عبده
Reports by his Ma esty's Agent and Consul on the Finances, Administration, and Condition cf Egypt and Sudan.

الاصلاح من زاوية احياء التقاليد الاسلامية والقومية دون الدعوة الى الاتجاه الى الغرب ، لكن صلته بكرومر قد جعلته يعدل عن هذا الأسلوب الذى كان فى أغلبه لا يخشاه ـ بل يباركه كرومر(١) ، ويوغل فى الهجوم على الخديو الذى لم يكن ليستطيع الاصلاح ـ لو أراده ـ الا فى حدود ضيقة تؤيدها سلطات الاحتلال(٢) ٠

وفى الحقيقة فان محمد عبده قد وجد أن الاستمرار فى أسلوبه القديم اضاعة للجهود أمام استبداد الحاكم وسيطرة الاحتلال وجمود الأزهر ، كما أن ميدان العمل السياسى الذى يهدف الى احياء شعور المصريين وتحريضهم ضد الاحتلال لتحقيق الجلاء قد ملأه مصطفى كامل ، ولم يعارضه ـ بل أيده ـ محمد عبده ٠ والذى يراجع خطة محمد عبده للاصلاح السياسى يدرك أن أغلب ما تضمنته غير قابل للتطبيق فى وجود الاحتلال والسلطة المستبده ، وبالتالى يمكن القول أن محمد عبده كان يريد الاعداد ـ فكريا واجتماعيا واقتصاديا ـ للجلاء ، والنهوض بالدولة فيما بعد تحقيقه هادفا تلافى أسباب الضعف التى أدت اليه ٠

ومن ناحية أخرى فان ابتعاد محمد عبده عن الاشتغال بالسياسة كان محاولة ـ تكتيكية ـ لفصم عرى الوحدة التقليدية بين المشايخ المحافظين والخديو والتى تمكنهما معا من مقاومة الاتجاهات الاصلاحية ولكى يتفرغ للاصلاح الداخلى أولا والذى كان فى نظره

(١) أحمد أمين : المرجع السابق ص ٣١٣ ٠ ؛ وحول هذا الرأى والرد عليه انظر : د٠ عثمان أمين : المرجع السابق ـ ص ٢٢٥ ، ٢٧٨ ٠

(٢) يذكر صاحب المنار أن الخديو قد استدعى محمد عبده الى الاسكندرية ليستشيره فى مخرج من فرض الانجليز على الخديو عزل القاضى المولى من السلطان وتولية قاضى مصرى مكانه ، وكان الخديوى يكره ذلك ٠ وقد أشار عليه الشيخ بأن يعتذر الى كرومر بحجة أن ضميره لا يقبل ذلك ٠ وهذه المسألة تؤكد الى جانب ضعف الخديو أمام الانجليز سعى الانجليز لفصل مصر عن الدولة العثمانية (الخلافة الاسلامية) ٠ المنار : ج ١ م ١٢ ص ٢٣ ٠

مقدمة لاصلاح النظام السياسى والحكومة الشوروية (الدستورية) ·
وقد حاول محمد عبده فى البداية مهادنة السلطة الخديوية حتى تفسح الطريق أمامه ـ أو تسانده ـ فى خطواته الاصلاحية ، لكنه وجد أنه من العسير عليه أن يسير فى الاصلاح دون الاصطدام بها ، وسرعان ما حدث ذلك الاصطدام فلم يكن أمامه من بد سوى الاستعانة بسلطة كرومر حتى يحميه من بطشها ويمكنه ـ بعد هذه الموازنة بين السلطتين ـ من السير فى طريق الاصلاح ـ نسبيا ـ الذى كان يرى أن نجاحه هو السبيل الوحيد الكفيل بالاطاحة بالسلطتين معا حتى ولو جر عليه ـ مؤقتا ـ هجوم الزعماء الوطنيين من أمثال مصطفى كامل · ومع أن هذا التصور ـ تكتيكيا ـ قد انطوى على جوانب خيالية ـ كما ذكر صاحب المؤيد ـ كأن يتصور أن سلطات الاحتلال كانت ستعينه على احداث اصلاحات جذرية حتى ولو كانت بعيدة عن المسرح السياسى ، ويؤكد ذلك ما اتبعه الاحتلال فى سياسته التعليمية الرامية الى تقويض التعليم وفى ايواء الثائرين على الخلافة التركية من أمثال ولى الدين يكن الا أنه ـ أى تصوره ـ قد انطوى ـ كما يرى البعض ـ على أسس ايجابية تمثلت فى الدعوة للاصلاح الشامل ـ ومن منظور اسلامى ـ فكريا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا (١) على أن ما ينبغى الأشارة اليه هو أن تدخل الاحتلال لاقامة المؤسسات الديمقراطية فى مصر والبلاد العربية عامة دون التهيئة لها ومساعدة دعاتها من أمثال الشيخ محمد عبده مستغلا بعض الأوضاع الغير مناسبة لتقوية مواقعه فى هذه البلاد قد خلق ما يشبه النفور لدى العرب من هذه المؤسسات وبأنها لا تخدم مصالحه القومية، وهى أمور أسهمت فى تقويض الفكر الليبرالى ، وكذلك فى انحصار شعبية دعاة الديمقراطية(٢) ·

---

(١) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ جـ ١ ص ١١ ، ١٢ · ؛ د· محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، جـ ١ ص ٢١٨ ـ ٢٢٠ ·

(٢) مجيد خدورى : المرجع السابق ص ٤٧ ، ٤٨ ·

موقفه من الدولة العثمانية وفكرة الجامعة الاسلامية

اقتنع محمد عبده فى البداية برأى أستاذه جمال الدين وشاركه بحماس فى الدعوة لفكرة الجامعة الاسلامية ، وصاغ العديد من المقالات فى العروة الوثقى التى تقدم العصبية الدينية على العصبية الجنسية ، ورمى دعاة العصبية الجنسية (القومية) بالغفلة وبأنهم أبواق المستعمر الذى يحاول توهين العصبية الدينية ليقطع الرابطة التى تجمع بين شعوبها ، وأكد أن المستعمر من أكثر الناس عصبية للدين فيما تجرى عليه سياستهم(١) . وفى مقال آخر بعنوان : « الوحدة الاسلامية » قال : أنه لا جنسية للمسلمين الا فى دينهم ، وأن تعدد الملكة عليهم كتعدد الرؤساء فى قبيلة واحدة ، وأرجع التدهور الذى حاق بالأمة الاسلامية الى تنازع الرؤساء واستنصارهم بعدوهم على أنفسهم من أجل الحفاظ على ملكهم(٢) .

وقد ارتبط هذا التصور ارتباطا وثيقا بموقفه آنذاك من الدولة العثمانية التى كان يعتبر « أن المحافظة عليها ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله ، فانها وحدها الحافظة لسلطان الدين الكافلة لبقاء حوزته وليس للدين سلطان فى سواها ، وأكد أنه على هذه العقيدة يحيا وعليها يموت » (٣) .

ويرى البعض أن دعوته البلاد العثمانية بعد ذلك أن تنصرف الى ترقية نفسها بنفسها من غير معاداة ولا مباراة لتركيا فى أعقاب

---

(١) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ ، جـ ٢ ، ص ٢٤٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٩ .

(٣) محمد رشيد رضا : المرجع السابق جـ ١ ص ٩٠٩ . ؛ صبحي وحيده : فى أصول المسألة المصرية ص ٢٢٦ .

عودته من بيروت وزيارته للآستانة ، يرى البعض فى ذلك ما يؤكد فتور حماس الشيخ نحو الدولة العثمانية وفكرة الجامعة الاسلامية ، وبخاصة أنه دعا الى أن تنتهز البلاد العثمانية الفرصة للاستقلال ، وشنع بفساد الادارة التركية(١) · لكن تصوره للجامعة الاسلامية - الذى يلتقى مع تصور أستاذه - ينفى عنه ذلك ، فكان الأفغانى - ومعه محمد عبده - يرى أن تكون وحدة حكومات ممثلة تمثيلا حقيقيا لوحدة شعوب بحيث يكون دستورهم القرآن ووجه وحدتهم الدين وأن تنصرف كل وحدة برعاية شئونها · وأكد الشيخ أن العداء بين العرب وتركيا لا يستفيد منه سوى الدول الأوربية ، و « لا يوجد مسلم يريد بالدولة سوءا فانها سياج فى الجملة يجمع المسلمين وعليهم المحافظة عليه وأن يعملوا لأنفسهم قبل زوال هذا السياج والا أصبحوا كاليهود بل أقل من اليهود(٢) · ولذلك حصر الشيخ جهوده الأصلاحية فى مصر ، كما عارض اتجاه المنار للتدخل فى السياسة العثمانية وخدمة الدولة العلية منذ عددها الأول ، وعلل ذلك ب « أن المسلمين ليس لهم امام فى هذا العصر غير القرآن» و « أن الخوض فى السياسة العثمانية فتنة يخشى ضررها ولا يرجى نفعها ، وأن الناس هنا - يقصد فى مصر - لا يحبون أن يسمعوا فى السلطان والدولة الا ما يشتهون ، ومصر ليس فيها سياسة ، والمسلمون لا ينهضون الا بالتربية والتعليم فلا تخلط السياسة بمقاصدك الاصلاحية لئلا تفسدها عليها فانها ما دخلت في عمل الا وأفسدته»(٣) ومع أنه قد حاول التبرير بأن ذلك لا يتعارض مع الاستمرار فى الدعوة لفكرة الجامعة الاسلامية ومن خلال تصوره لها وهو التعاون

---

(١) د· محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ج ١ ص ٦٥ ·

(٢) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ج ١ ص ٤١٥ ، ٩١٣ ، ٩١٥ ·

(٣) المنار : ج ١ م ١٢ ص ٢ · : د· ابراهيم العدوى : رشيد رضا - اعلام العرب العدد ٣٣ ص ٢١٦ ·

والاتحاد بين أوطان العالم الاسلامي بعد اصلاحها والنهوض بهـا ، الا أن ذلك كان يعني ـ عند المحافظين ـ أنه قد غلب الدعوة للمصرية على حساب الفكرة الاسلامية(١) .

ولم يكن هـــذا الاتجـــاه كما يرى البعض مغايرا في جوهره للمفهوم الذي طرحه مصـــطفى كامل حيث أن تعلق مصـــطفى كامل بالدولة العثمانية وترويجه لفكرة وحدة الولايات الاسلامية الخاضعة لها وتمسكها بالخلافة الاســـلامية كان ـ في رأى البعض ـ زواج مصلحة(٢) ، فالعثمانيون والخديو هم أصحاب السلطة الشرعية في مصر ، والاحتلال صاحب السلطة الفعلية ، وكثيرا ما كانت انجلترا تدعى أن وجودها موقوت بعودة البلاد لسلطة الأتراك وقمع الثائرين عليها ، وكان مصطفى كامل يستغل هذه الأمور سياسيا في محاولة لاجبار الانجليز على الخروج ، لكنه في هذا لم يكن يريد استبدال استعمار انجليزى بآخر تركى لأنه كان يدرك أن لمصر وضع خاص منـــذ اتفاقية لندن سنة ١٨٤١ (٣) ، أى أنه كان يريد في النهاية خلاص مصر من الاحتلال وقيام حكومة دستورية نيابية فيها بعد ذلك ،

---

(١) ولمزيد من التفاصيل عن أبعاد الصراع بين البورجوازية المصريـة وبقايا الارستقراطية الاسلامية ، الحاكمة والرأسمالية الاحتكارية الأوربية الغازية أنظر : د. عبد العظيم رمضان : صراع الطبقات في مصر ١٨٣٧ ـ ١٩٥٢ ، المؤســـسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٨م ص ٨ .

(٢) Goldschmidt. A.E. Op. Cit, p. 89.

ويفهم كذلك من خطاب ارسله مصطفى كامل الى جولييت آدم سنة ١٨٩٧ يقول فيه : « انك تعلمين خطتى نحو تركيا ... واعترف كثير من أصدقائنا اليونانيين بأنه من السياسة القومية لمصر أن تكون حسنة العلائق مع تركيا مادام الانجليز محتلين وطننا العزيز » . انظر : عبد الرحمن الرافعي : مصطفى كامل . ص ٨٣ .

(٣) د. سميره بحر : الأقباط في الحيـاة السياسية ـ القـاهرة ـ الأنجلو سنة ١٩٧٩ ص ١٤٧ . ؛ ولكن مع هذا كان محمد عبده ينظر بشكوك قوية لطبيعة العلاقة بين مصطفى كامل والسلطان عبد الحميد . انظر د. يونان لبيب رزق : الحياة الحزبية في مصر ص ١٨ .

وهذه كانت رغبة محمد عبده وان اختلف الأسلوب(١) ٠ لكن أسلوب ومنهج مصطفى كامل فى الدعوة لفكرته ، وصـــلته بالخديو ودولة الخلافة ، قد جعله ينال تأييد المحافظين من أتباع الاتجاه الاسلامى ٠ وقد هاجم مصطفى كامل أسلوب محمد عبده واتهمـــه بالمروق من الوطنية لأنه يشايع الانجليز ويتخذهم أعوانا ، فضـــلا عن أنه ـ أى محمد عبده ـ قد زكى بأسلوبه الاتجاه القومى المعادى للجامعة الاسلامية(٢) ، فى حين استهجن محمد عبده أسلوب مصطفى كامل الذى كان لا يسهم اسهاما فعليا فى اعداد المصريين للتحرر ، ومع أن محمد عبده قد التقى مع مصطفى كامل فى معارضـــة فكرة الخلافة العربية ـ التى دعـــا اليها كل من بلانت وعبد الرحمن الكواكبى ـ لاعتقاده بأن التفريق بين العرب والترك يضعف الفريقين ويسهل على الدول الطامعة محو الدولة الاسلامية من الأرض(٣) ، الا أنه كان من أنصار تجديد واصلاح الخلافة العثمانية وليس ازالتها أو التخلى عنها باعتبارها القوة الاســـلامية الروحية التى تقف فى وجه الزحف الغربى ، وهذا يتفق مع ما كتبه فى الوقائع المصرية فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٨١ م حيث قال : « ان الدولة العلية لها علينا حق السيادة والولاية ، ولنا منها ما خولتنا من الامتيازات التى منحتنا اياها بمقتضى الفرمانات السلطانية العلية (٤) ٠

---

(١) Blunt, W. S. : Secret History, p. 347.

(٢) أحمد أمين : المرجع السابق ص ٣٢١ ٠ ؛ د٠ مجيـــد خدورى ! عرب معاصرون المتحدة للنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٣ ص ٣١٤ ٠

(٣) أبدى الشيخ محمد عبده تعاطفه مع الدولة العثمانية أثناء الحرب التركية الروسية وكان يرى أن كثرة الأجانب فى مصر قد سهلت ورود الجرائد الأوربية التى كانت تمدح الروس وتزدرى العسكرى العثمانى ٠ د٠ عثمان أمين : المرجع السابق ص ٤٣ ٠

(٤) د٠ محمد عمارة : الأعمال الكاملة لمحمد عبده ـ جـ ١ ص ١١٠ ٠ ؛ د٠ محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية جـ ٢ ص ٦٥ ٠

ومع ذلك فقد اتهم فى آخر حياته ـ وهو أمر يعارضه صاحب المنار ـ بأنه سافر الى بيروت لتأسيس خلافة عربية الأمر الذى أثار عليه السلطان العثمانى(١) . ويبدو أن هذا الاتهام راجع فى أساسه الى ما يراه البعض من محاولات محمد عبده اثارة أو بنـــاء الوعى السياسى بالأحداث لدى الشعوب العربية ، وهذا بالتالى يدفعهم الى التفكير فى اقامة كيان خاص بهم بعد أن فسد ساسة الأتراك ، وقد أسهمت هذه المحاولات فى نمو القومية العربية أو على الأقل تعميق المصرية .

على أننا لا نتفق مع الرأى القائل بأن دعوة محمد عبده ـ وبالتالى غيره من المصلحين ـ الى العودة بالاسلام الى سيرة السلف الصالح قد أدى الى ايقاظ الوعى بالعروبة ، وذلك لأن هؤلاء السلف فى أغلبهم لم يكونوا من العرب ، ولم يكن جنســـــهم هو السبب فى رفعتهم ومكانتهم(٢) ، كما لا نتفق مع الذين يفسرون اتجاه محمد عبده وغيره الى تقوية اللغة العربية وتجديد الأدب العربى بأنه تعميق للاتجاه نحو العروبة(٣) لأن سيادة اللغة العربية جاءت لكونها لغة القرآن لا لكونها لغة العرب ، وبالتالى فان جذور هذا الاتجاه اسلامية وان بدت فى ثوب عربى قومى .

أما عن تحقيق الوحدة السياسية بين بلدان العالم الاسلامى ـ وهم على ما هم عليه من تخلف وضعف ـ فقـــد كان ضربا من الجنون فى نظر محمد عبده ، حيث كان يرى أنه لكى تتحقق هـــذه الوحدة لابد أن تسبقها حركة اصلاحية شاملة ، وهو أمر دعاه لتأييد رجال تركيا الفتاة ومخالفة السلطان عبد الحميد ، ودعاه أيضا الى

---

(١) المنار : ج م ١٢ ص ١٠ ، ١١ .

(٢) عبد العاطى محمد أحمد : ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣) المنار : العدد ١١ سنة ١٣١٥ هـ ص ١٦٦ ـ ١٦٩ « ما كتبه الأستاذ الامام فى رجال الدولة وبطانه الملك » . ؛ مجيد خدورى : الاتجاهات السياسية ص ٧٤ .

الاختلاف مع أستاذه جمال الدين مما اضطر جمال الدين الى اتهامه بأنه « مثبط للهمم » . بل لقد حاول محمد عبده أن يقنع أستاذه بأفكاره حيث اقترح عليه ، بعد أن تعطلت مجلة العروة الوثقى (أواخر سنة ١٨٨٤ م) وبعد فشل مشروعات الجامعة الاسلامية ، أن يعتزلا الاشتغال بالسياسة وأن ينشئا مدرسة لتربية النشء وفقا لمنهج ومقاصد لتكوين صفوة من الشباب (١) .

ويبدو أن موقف محمد عبده هذا ، وجرأته فى عرضه على أستاذه جمال الدين ، كان مبنيا على فشل جهودهما سويا فى محاولة اثارة الدولة العثمانية (ومعها روسيا أحيانا) على الانجليز والذى لم يكن ليحدث الا من خلال اثارة الشعوب الاسلامية الخاضعة لاحتلالهم ، وكان ذلك كفيلا ـ من وجهة نظرهما ـ بتحقيق الوحدة الاسلامية واستقلال شعوبها(٢) ، لكن تقاعس الدولة العثمانية ، وزيادة دعاة وأنصار الطورانية ـ القومية التركية ـ قد أدى بكليهما الى طرح تصورهما لوحدة الحكومات الاسلامية مع الحفاظ على الخلافة العثمانية بشرط اصلاحها والاتجاه الى الاصلاح الداخلى الذى يبدأ بالاصلاح السياسى فى رأى الأفغانى ، والاصلاح الاجتماعى الذى يسير الى جانب الاصلاح السياسى فى رأى تلميذه (٣) .

---

(١) د. عثمان أمين : المرجع السابق ص ١٧٠ ؛ رشيد رضا : تاريخ الأستاذ م ١ ص ١٥ ، ص ٢٤٦ . ؛ عباس العقاد : المرجع السابق ص ١٠٧ . ويقول صاحب المنار أن الذى دعا الأفغانى الى الاشتغال بالسياسة هو اعتقاده أن الدعوة لا تكون الا حيث تكون الحرية وحكومة الشورى . المنار : ج ١٠ م ١١ ص ٧٤٠ .

(٢) العروة الوثقى : ص ٣٧٢ . مقال بعنوان : « الباب العالى والانجليز » . ؛ محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام ج ١ ص ٣٤٦ .

(٣) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ج ١ ص ٦٥ . وتعارض ما ذكره الأستاذ/ محمد عمارة فى كتابه العروبة فى العصر الحديث ص ٢٥٥ فى أن جمال الدين ومحمد عبده قد قادهما تفكيرهما الناضج الى الفكر القومى ، حيث أن الاقتصار على الاصلاح الداخلى وفى مصر لا يعد ترويجا للفكر القومى

ومن ناحية أخرى فقد حاول محمد عبده أن يبدد المخاوف التى أحاطت بمفكرى الغرب وأشـــياعهم فى مصر عن فكرة الجامعـــة الاسلامية(١) ، وأكد أن نجاح الفكرة لا يشكل خطرا على الشعوب المجـــاورة والشعوب الأوربية والمسيحية بوجه خاص وكذلك على الأقباط فى مصر ، وأن القصد من هذه الجامعة هو أن يتنبه المسلمون الى شئونهم ويحققوا استقلالهم بأنفسهم(٢) ٠

وبالطبع فقد لقى تصور محمد عبده للجامعة الاسلامية ترحيبا لدى أكثر المعتدلين من المفكرين المصريين ومن المثقفين ثقافة غربيـــة ـ أى المجددين وكانوا قلة ـ بوجه خاص وذلك لكونه تصورا واقعيا يدعو للاصلاح أولا ، وكذلك لأنها ـ أى فكرة الجامعة الاســلامية ـ كانت فى نظره فكرة تحررية رغم ارتباطها بالخلافة العثمانية وسيادة الأتراك ٠ أما المحافظون من رجال الفكر الاسلامى فكانوا يرون ضرورة الحفاظ على الأشكال الســـــابقة من سيادة الفكر الدينى والعلاقات السياسية والاجتماعية (التقاليد) ، أى العودة الى القديم يستلهمون منه القوة للخلاص من المصائب الجديدة التى عرفوها من التيارات الوافدة من الغرب ٠ ومع وجاهة رأيهم فى أغلبه وملاءمته للواقع المصرى الا أنهم لم يتمكنوا من ايجاد ميزان يمكنهم من التعامل مع هــــذه التيارات من ناحية ، وكذلك لم يتمكنوا من ملاحقة أو حتى استيعاب التطور والنمو السريع فى مجالات الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وهى أمور تجعلهم مقصرين فى نظر الاسلام

(١) المنار : العدد ١١ سنة ١٣١٥هـ ص ١٦٩ وقد انتقد أمراء الشرق الذين سلموا أمورهم الى الأجانب وزادوا فى الثقة بهم ٠

(٢) د٠ عثمان أمين : المرجع السابق ص ١٦٩ ٠ ؛ وفى هذا رد على ما ورد فى كتاب د٠ سميره بحر : الأقباط فى الحياة السياسية ، ص ١٤٧ ٠

من ناحية أخرى(١) · ولهذا فانه عندما سعى محمد عبده لاخراجهم من هذه الدائرة ومحاولة الاصلاح الشامل بهم ، وتوضيح الهدف من التجديد وطرح مفاهيم جديدة للعلاقات السياسية كان يرى أنهـــا لا تنسحب بالضرورة على العلاقات الاجتماعية(٢) ، اصطدم بهم ولم يتمـــكن من تحقيق ما كان يصبو اليه حيث أنهم كانوا لا يزالون يسيطرون بلا منازع على عقول وميول غالبية المصريين ، فضلا عن أنهم قد نعموا بمساندة السلطة السياسية الشرعية (الخديو) ، وكذلك لم يصطدموا ـ لعـدم القدرة ـ بالسلطة الفعلية (الاحتـــلال) ، ولم يقدموا تصورا واقعيا واضحا لامكانية تحقيق الجلاء · وقد نتج عن انتقاد الشيخ لهم أن فقدوا الكثير من هيبتهم ونفوذهم التقليدى لدى فئة المثقفين على الأقل ، وبالتالى فتح الباب لتلاميذه ولأصحاب الأفكار الجـديدة بصفة عامة لنشر فكرهم وتكوين أنصـــار لهم ، ولم يجدوا فى سبيل ذلك صعوبة ارتياد طريق الاصـــطدام بهؤلاء المحافظين(٣) ·

ونستطيع القول بأن مجمل مساعى الاصلاح السياسى التى كان يريدها الشيخ وتلاميذه تكمن فى الدعوة لفتح باب الاجتهاد من خلال تحكيم العقل(٤) ، والانفتاح على ما وصلت اليه أمم الغرب من نظم ونظريات دون أن يصطدم ذلك بأحكام ونظم الشريعة الاســلامية ، ودون التوقف عند حد اجترار معلومات ـ لا أحكام ومبادىء ـ لا صلة لها بقضايا العصر وهى أمور لفظها الاسلام ، أى أنه كان يرى ضرورة اسهام الاسلام ـ بعد تجديده ـ بدور فى عملية التغيير سواء كان

(١) ل·ن كلتوف : خصائص وأهمية الحركات الجماهيرية فى المشرق العربى ـ ص ١٥٣ ·
(٢) عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٢٣٤ ·
(٣) Hourani, Op. Cit., p. 145.
(٤) مجيد خدورى : الاتجاهات السياسية ص ٧٦ ·

ذلك على مستوى الفكر الدينى أو على مستوى المؤسسات الدينية ، وهو بهذا يمثل الجناح المعتدل والواقعى الذى اضطر كرومر الى وصفه بقوله : « أنه أدنى من المحافظين المتشنجين ـ فى اسلامهم وأدنى من المصريين المغالين فى تفرنجهم » (١) ٠

---

(١) المنار : جـ ٣ م ١١ ، ؛ ويقول الأستاذ صبحى وحيدة أن اتجاهه كان اسلاميا قبل كل شىء ٠ صبحى وحيدة : فى أصول المسألة المصرية ص ٢٢٥ ٠ ؛ عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٢٤٤ ٠

آراؤه الاجتماعية

تتميز أغلب الدعوات الاصلاحية الاسلامية وبخاصة فى العصر الحديث بالدعوة للعودة الى الأصول الأولى للاسلام والمتمثلة فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وجهود السلف ، ويتصور جناح من المفكرين المسلمين أن ذلك هو النموذج المثالى الذى ينبغى أن يكون عليه العالم الاسلامى أمام زحف الحضارة الغربية . ولا يأبه هذا الجناح باتهامه بالرجعية بحجة أنه اتهام من الغربيين أو المتغربين ولأن العودة للوراء بالنسبة للعالم الاسلامى تختلف عنها فى العالم المسيحى . لكن دور هذا الجناح جاء كرد فعل دفاعى للضغط الأوربى الناتج عن تفوق أوربا ، وقد شغل أتباعه بالرد على ناقدى الاسلام من الأوربيين والداعين للارتباط بأوربا دون الانتباه الى ضرورة وضع برامج اصلاحية ايجابية ، بل ان تصورهم عن الحكومة الاسلامية كان تصورا غامضا فى نظر البعض حيث لم يراعوا كثيرا من القضايا المعاصرة ، وكذا تصورهم لما ينبغى أن تكون عليه الوحدة الاسلامية ، وقد أودى بهم هذا الموقف ـ الذى وصف بالسلبية ـ فى كثير من الأحيان الى التطرف والتعصب(١) . كما أن الجناح الذى اقتصر أتباعه على الاصلاح الداخلى فقط لم تكلل جهودهم فى أغلبها بالنجاح

---

(١) محمد خدورى : الاتجاهات السياسية فى العالم العربى ص ٧٠ .

لتسلط قوى الاحتلال والاستبداد المتمثل فى نظام الحكم وانحصرت جهودهم فى اطار ضيق .

ومن هنا تعتبر دعوة الشيخ محمد عبده من الدعوات الاصلاحية الرائدة التى لم تقف عن حد الدعوة للعودة الى الأصول الأولى للاسلام واستلهام منهج السلف الصالح ، وانما حاولت أن تستوعب قضايا العصر وتصبها فى قالب اسلامى مميز يمكنها من مواجهة تحدى الحضارة الغربية . لذلك فقد رفض محمد عبده الاتجاه القائل باقتصار الدعوة للتجديد والاحياء داخل الاسلام ذاته دون مراعاة أو اهتمام بالمؤثرات الخارجية ادراكا منه لمثالبها المتمثلة فى اهمال التطورات التاريخية وتغير الظروف التى يمر بها المسلمون ، وكذلك لكونها تجعل المجتمع الاسلامى منغلقا على نفسه غير مدرك لأبعاد رسالته فى الدعوة الدائمة لدين الله بين شعوب الأرض . وعلى الرغم من أن نظرة محمد عبده للتطور والتغير جعلته يدعو للأخذ عن الحضارة الغربية وفق ميزان اسلامى واضح ، الا أن ذلك لم يكن يعنى أنه كان يحمل روحا انهزامية تسلم بقوة الحضارة الغربية وضعف الحضارة الاسلامية ، حيث كان يدرك أن الحضارة رصيد انسانى ضخم أسهم فيه المسلمون بنصيب وافر ولابد أن يواصل المسلمون استفادتهم من هذا الرصيد ويسعوا للمساهمة فيه بالمزيد ولا ينبغى أن يديروا أظهرهم لهذه الحضارة لا لشىء الا لأنها لبست ثوبا غربيا ، كما أن الاسلام يتميز على غيره من الديانات بشموله لكافة المقومات الحضارية وهى أمور تحتاج الى التعقل والتفكر فى فهم أصوله(١) ، وأنه – أى الاسلام – بذلك يتواءم مع متطلبات العصر ولا يتعارض مع المدنية الحديثة ، وأن المسلم بوسعه أن يضع اطارا دينيا لمجتمع عصرى(٢) .

---

(١) عبد العاطى محمد : المرجع السابق ص ١١٩ .
(٢) المرجع السابق ص ١٠٠ .

وبمفهوم شامل فان محمد عبده ـ كامتداد لاستاذه الأفغانى ـ قد استطاع أن يعبر عن الجناح المدافع عن تقاليد العالم الاسلامى ـ التقليديين ـ دون تعصب أو تطرف أو تحجر ، وعن الجناح الداعى للاصلاح بالاقتباس من الحضارة الغربية ـ التحديثيين ـ مع الاحتفاظ بالقالب والطابع الحضارى الاسلامى ٠ لكنه لم يستطع أن يوفق بين أتباع التيارين ، وازدادت الهوة بينهما بعد وفاته بنفس البعد الذى أصبح بينهم وبين أفكار أستاذهم(١) ٠

كما أنه قد اقترب فى بعض آرائه ـ وبصورة عامة ـ من الاشتراكيين المعتدلين الذين رأوا أن المجتمع من الممكن أن يكون أكثر عدلا لو أعيد تنظيمه على أسس اشتراكية تضمن للانسان قسطا كافيا من الحرية والمساواة ويتحرر من سيطرة الطغيان الاجتماعى المتمثل فى كبار الملاك وأصحاب رؤوس الأموال ، وتسلط رجال ـ لا قيم ـ الدين ، وانحصر خلافه مع بعضهم مثل فرح أنطون على الصراع بين الدين والعلم مؤكدا أن مبادىء الاسلام الشمولية تستوعب ما يدعون اليه من حرية للفكر والارادة واحترام للأديان الأخرى ودفع الفرد الى الابتكار والخلق(٢) ٠ ولهذا يرى البعض أن محاولة محمد عبده تحديث الاسلام قد جعلت المسلم المعاصر أكثر تمسكا وثقة بدينه أكثر مما أسهم به المحافظون فى هذا المجال الذين أسهموا بهروبهم من مواجهة التحديات الحضارية فى تخلخل هذه الثقة ، حيث لم يقدموا ـ كما رأى الشيخ ـ على محاولة اصلاح المجتمع وألقوا بالتبعة على الحكومة ارضاء لها أو خوفا منها ، فانصرف المسلم عن

---

(١) مجيد خدورى : المرجع السابق ص ٧٧ ، ٧٨ ٠

(٢) مجيد خدورى : المرجع السابق ص ١٠٢ ، ١٠٣ ٠ ؛ عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٧٣ ٠

الأمور العامة جملة وضعف شعوره بحسنها وقبيحها اللهم الا ما يمس شخصه فقط(١) ٠

واعتمد محمد عبده فى دعواه على مقومين أساسيين هما العقل والعلم ، فشرح فى رسالة التوحيد دور العقل فى حياة الانسان ، وأوضح كيف أن الاسلام فى الأساس دين العقل ، فبالعقل كانت معرفة الله ، وكان فهم الحكمة والموعظة الحسنة التى كسب بها النبى أنصاره وأدرك الخبيث من الطيب ، وطالب بتفسير الشرع الاسلامى على ضوء العقل ، وأكد الشيخ على « أن الدين والعلم متى فهما على الوجه السليم لا يمكن أن يكون بينهما خصومة أو نزاع لأن « العلم الصحيح مقوم للوجدان ، والوجدان السليم من أشد أعوان العلم ، والدين الكامل علم وذوق ، عقل ولب ، برهان واذعان ، فكر ووجدان ، فاذا اقتصر على أحد الأمرين فقد سقطت احدى قائمتيه وهيهات هيهات أن تقوم على الأخرى » (٢) ٠

ومن الواضح أن نشأة الشيخ وجذوره الأولى قد حددت الوجهة التى يرتضيها فى الاصلاح هدفا ووسيلة ، فالهدف هو حركة تصحيحية اسلامية ـ على غرار ما حدث فى أوربا فى مطلع العصور الحديثة ـ جعلته يركز دائما على ضرورة اعادة فتح باب الاجتهاد فى الشريعة الاسلامية الذى كان يعنى عنده تحرير الفكر من كل عائق ، وأكد الشيخ على أن أبواب الاجتهاد لابد أن تظل مفتوحة لحل جميع المسائل التى تثيرها ظروف الحياة المتجددة أبدا ، ورمى الذين يوحون بأغلاق هذا الباب بالكفر والضلال(٣) ٠

---

(١) د٠ عثمان أمين : المرجع السابق ص ١٠٥ ٠

(٢) د٠ عثمان أمين : رائد الفكر المصرى ص ٨٠ ٠

(٣) المرجع السابق ص ٧٨ ٠ ؛ عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٩٣ ٠

وتبدأ جهود الشيخ الاصلاحية منذ بداية حياته حيث بدا مدى ثورته على نظام التعليم فى المسجد الأحمدى والأزهر ، ووجه جهوده الاصلاحية فى البداية الى العمل السياسى بعد تأثره بأفكار جمال الدين وبعد أن لمس استبداد الحكم ووقوفه ضد المشاريع الاصلاحية . وظل فى صحبة أستاذه يعمل فى هذا المجال فى بيروت من خلال المقالات والجمعيات السرية والندوات ، ثم فى باريس من خلال العروة الوثقى ، ويرى البعض أنه قد دخل مصر سرا فى فترة نفيه وأثناء اشتداد الثورة المهدية فى السودان ومارس نشاطا سياسيا سريا دون أن تكتشفه سلطات الاحتلال(١) .

لكنه بعد أن اقتنع بعدم جدوى هذا الطريق ، ولتربص أعين سلطات الاحتلال وكذلك القصر له ، ولتخوف السلطان من نشاطه فى بيروت(٢) ، عزم على الاقلاع عنه مركزا على بذل جهوده فى مجال الاصلاح الدينى الذى يشمل الاصلاح الاجتماعى والتربوى الذى ينتج عنه الاصلاح السياسى بعد ذلك على أنه لن يشترك فى عمل سياسى مباشر . وكان لهذا الاتجاه أثر فى تسهيل مهمة الشيخ فى العودة الى مصر ، واذا كان كرومر هو الذى سعى لتسهيل العودة له(٣) ، فلأنه كان يريد تقويض هذا الدور وحصره وتجديده بما لا يسبب قلقا لسلطات الاحتلال ، ولكى يضرب به الخديو المؤيد للحركة الوطنية ، ومن هنا ينبغى تقدير ظروف العصر وتقويم دور الشيخ من خلالها ، وفى الوقت نفسه لا ينبغى اغفال ذلك الدور لأن الناظر الى الظروف التى عاشتها مصر والقوى المسيطرة عليها فى ذلك الوقت يجدها ممثلة فى سلطات الاحتلال التى تريد أن تظهر أمام

(١) محمد عمارة : الأعمال الكاملة للامام محمد عبده ص ٧٠ .

(٢) عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٧١

(٣) Hourani, A. Op. Cit., p. 134

العالم الخارجى بدور المصلح مع المحافظة على وجودها ، والسلطة الشرعية التى كان يمثلها خديو مستبد غير راغب فى الاصلاح وكانت مساعدته للحركة الوطنية ـ من جهته ـ مناورة لكسب بعض السلطات بعد أن حرمه من أغلبها مندوب الاحتلال ، وكان حرصه على عرشه أقوى من حرصه على أى شىء آخر ، كما أن مساعدته للحركة الوطنية كانت محسوبه الى المدى الذى لا يجعلها تهدد عرشه ان لم تخدمه ٠ والقوة الثالثة هى مشايخ الأزهر الذين سلبوا من كل قوة وارتضوا الركود ففقدوا بذلك كل قدرة على الصمود لأى من القوتين ٠

ومن هنا كان لقاء محمد عبده فى بعض خطواته مع القوة التى تساعده على الاصلاح ولو بقدر محدود (الاحتلال) بدلا من اللقاء مع معارضى الاصلاح (الخديو) أو عدم القادرين عليه (مشايخ الأزهر) ٠ وبمعنى آخر لقد أدرك محمد عبده أسباب عقم أسلوب أستاذه فى تغيير قمة الهرم الاجتماعى المتمثل فى الأنظمة المستبدة وعدم تمكنه من حشد الجماهير فى العالم الاسلامى لمواجهة الاحتلال أو لتبنى الفكر الاصلاحى ٠ وكانت أهم هذه الأسباب هى تكاتف الاستبداد والاستعمار ومعهم مجموعة من المنتفعين حولهم ، ولهذا حاول أن يتجنب الصراع المباشر بقدر الامكان مع هذه القوى أو بعضها ، أو الاستعانة ببعضها على بعض حتى يمكن تعميق معنى الاصلاح واشعار الجماهير بجدواه وتهيئتهم للدفاع عنه(١) ٠

---

(١) مجيد خدورى : المرجع السابق ص ٧٢ ، ٧٣ ٠

آراؤه وجهوده فى اصلاح التعليم

احتلت آراء الشيخ فى التربية والتعليم مكان الصدارة فى آرائه الاصلاحية ، واستحوذت على أغلب جهوده ـ ان لم تكن جميعها ـ فى كثير من فترات حياته ، ويتضح ذلك من قوله : « ان الذين يرومون الخير الحقيقى لوطنهم يجب أن يوجهوا اهتمامهم الى اتقان التربية ونشر التعليم ، اذ أن اصلاح نظم التربية والتعليم فى البلاد يجعل وجوه الاصلاح الأخرى أكثر يسرا » (١) .

وحذر الشيخ الذين يريدون أن يولوا وجوههم شطر الغرب كى تصبح بلادنا كأوربا من أنهم لن ينجحوا فى مقاصدهم ، وأن جهودهم ستذهب أدراج الرياح ، وأكد أن « الطريق القويم هو التنوير وايقاظ الوعى العام وتشكيل جمعيات فى القرى والمدن لتفهم القوانين واللوائح والمنشورات ، ثم وضع حدود قويمة للأعمال الشخصية والأخلاق والتصرفات فان اصلاح الأخلاق والأفكار والأعمال من أهم واجبات البلاد(٢) » .

ووصل الحد باهتمام الشيخ بالتعليم أن طالب الموسرين والأغنياء ببناء المدارس لتعليم أبناء الفقراء بدلا من المساجد التى يوقفونها على الأولياء ، كما طالب بمجانية التعليم تعميما لفوائده(٣) .

وعبرت جهوده عن هذه الآراء فى فترة مبكرة من حياته ، فحينما عين محررا بالجريدة الرسمية قبيل الثورة العرابية وجه انتقادا شديدا الى نظارة المعارف ، ومثل بمساوىء التربية والتعليم فى مدارسها

---

(١) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ ، ج ٢ ص ١٢٢ .

(٢) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ج ٢ ص ١٣٢ . ؛ د. عثمان أمين : رائد الفكر المصرى ص ١٠٨ .

(٣) د. عثمان أمين : المرجع السابق ص ٢٨٨ .

حتى وصل الأمر الى أن ناظر المعارف اشتكى الشيخ لرياض باشا رئيس النظار ، وطالبه رياض باشا بأن يرد على الشيخ بالحجج والبراهين والا فان ما كتبه الشيخ حق ، واتصل برياض باشا وأحاطه بهدفه وطلب منه تغيير ناظر المعارف لكن رياض باشا أفهمه أن ذلك الأمر ليس سهلا ، فاقترح الشيخ عليه تشكيل مجلس المعارف الأعلى ، فاقتنع رئيس النظار بذلك وعرض الأمر على الخديو ، وتم تشكيل هذا المجلس ، لكن معارضة الأجانب ثم حدوث الثورة العرابية كانت من أهم أسباب تجمد نشاط هذا المجلس وفشله فى تحقيق مقاصده(١) .

جهوده فى اصلاح الأزهر

توفرت ظروف وعوامل عديدة لتحصر جهود الشيخ التطبيقية فى اصلاح الأزهر ، ومن هذه الظروف نشأته الأزهرية وما لمسه خلالها من عقم طريقة التعليم بالأزهر - التى ضاق بها - وعدم كفاية وسلامة العلوم التى كانت تدرس فيه(٢) .

وقد أسهمت سياسة الاحتلال التعليمية حيث اقتصدوا نفقات التعليم تحت ستار اصلاح اقتصاد البلاد ، وكذلك وقفهم تأسيس المدارس الابتدائية ، واغلاق المدارس الخاصة ، والغاء مجانية التعليم ، أدى كل هذا الى أن يركز الشيخ على اصلاح الأزهر باعتباره الباب الأخير الذى ظل مفتوحا أمام السواد الأعظم من المصريين(٣) .

---

(١) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ ، ج ١ ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٢) راجع ما كتب عن طريقة التعليم بالأزهر فى الفصل الأول من هذا البحث .

(٣) قدرى قلعجى : محمد عبده ، ص ٩٢ .

على أنه اذا كان دافع الشيخ وحماسه فى السعى لاصـــلاح الأزهر يكمن فى ادراكه للدور الذى لعبه قديما فى تكوين العقلية والثقافة الاسلامية ، وأن اصلاحه هو اصـــلاح للأمة الاســـلامية بأسرها(١) ، الا أنه لم ينجح فى نقل هذا الشعور الى مشايخ الأزهر مما ساعد على أن يكونوا عونا عليه لا له .

ومن العوامل الأخرى التى جعلت الشيخ لا يكسب تأييد المشايخ أو بعضهم على الاصلاح حملته المتواصلة عليهم والطريقة الحادة التى اتبعها فى هذه الحملات ، فقد أوضح افتقارهم لروح النقد والتمحيص ، وتمكن الخرافات والأوهام من أكثرهم ،ومثل بالشيخ حسونه النواوى الذى تولى مشيخة الأزهر من أنه كان يقبل يد أحد الأولياء الأدعياء . كما حمل على الفقهاء واتهمهم بالتزمت والتجمد وحملهم تبعة ما وصل اليه المســـلمون من قلة الاكتراث وعـــدم الثقة بدينهم(٢) ، وأنهم يعقدون الدين الذى يتميز بالبساطة حيث يفرضون لفهم العبـادات كتبـــا طويلة عقيمة تحتاج الى سنوات طويلة لقراءتها دون فائدة ، ولم يكن هناك حاجة ملحة لعامة المسلمين للتدقيق والاسراف فى فهم الماء الطاهر والماء الطهور والطهارة(٣) ، أو فى وضع الحواشى على شرح لنص من نصوص مؤلف قديم ، وتقديس هذه المؤلفات والاسهاب فى شرح وخلق المعانى لها .

وأوضح كذلك نتاج هـــذه الطريقة وأثرها على تلاميذ الأزهر وخريجيه حيث « يمر زمان لا يسمع الطالب فيه نصيحة من أستاذه تعود عليه بالصلاح فى دنياه أو دينه ، وانما يسمع ما يملأ القلب

---

(١) د. عثمان أمين : رائد الفكر المصرى ، ص ٢١٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٠ ؛ عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ١٠٤ ، ١٥٥

(٣) د. عثمان أمين : المرجع السابق ص ٩٩ .

بغضا لكل من لم يكن على شاكلته فى الاعتقاد حتى من بنى ملته ، ويطبق على الذهن غفلته ، ويستفزه الطيش لتصديق كل ما يسمع ، اذا كان موافقا لمبدأ التعصب الجاهلى » ، واذا ما تخرجوا وأذن لهم بالتدريس فمن المفروض أن يكونوا قدوة للناس « مع أنهم أقرب الى المتأثر بالأوهام والانقياد الى الوساوس من العامة ، وأسرع الى مشايعتها منهم ، وذلك بما ينشأ عليه من التعليم الرديء والتربية المختلفة التى لا ترجع الى أصل صحيح » (١) .

وقد ذكر رشيد رضا أن محمد عبده كان شديد الاحتقار لأهل الأزهر وكان يسميه « الاصطبل ، والمرستان ، والمخروب » (٢) . وكان الى جانب ذلك شديد الاحتقار للعلوم التى كانت تدرس فيه ، ويتضح ذلك من المناقشة التى دارت بينه وبين الشيخ محمد البحيرى أحد كبار مشايخ الأزهر وعضو المجلس الذى تأسس للاصلاح فيقول الشيخ البحيرى : « اننا نعلمهم كما تعلمنا » ويرد الشيخ محمد عبده : « وهذا الذى أخاف منه » ، ويقول الشيخ البحيرى : « ألم تتعلم أنت فى الأزهر وقد بلغت ما بلغت من مراقى العلم وصرت فيه العلم الفرد » ، فيرد الشيخ قائلا : « ان كان لى حظ من العلم الصحيح الذى تذكر فاننى لم أحصله الا بعد أن مكثت سنين أكنس من دماغى ما علق فيه من وساخة الأزهر وهو الى الآن لم يبلغ ما أريد له من النظافة » (٣) .

---

(١) قدرى قلعجى : المرجع السابق ص ٩٥ ، ٩٦ .
(٢) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ ، جـ ١ ص ٤٩٥ .
(٣) قدرى قلعجى : المرجع السابق ص ٩٢ ،

... وقد التقى الشيخ بهذه الطريقة مع دعاة التجديد الذين ينادون بأقتفاء الحضارة الغربية حيث كانوا يعربون عن احتقارهم واستخفافهم بالأزهر ومشايخه بل وبالدين نفسه أحيانا كما فعل ولى الدين يكن حيث جاهر بالافطار فى رمضان واستخف بالصائمين . أنظر : د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، جـ ١ ص ٣٦٦ .

وانتقد الشيخ الى جانب ذلك اهتمامهم بعلوم الوسائل كالنحو والصرف والمعانى وهى فى أغلبها علوم مساعدة للدين وليست فى صميمه ، وحتى القسط الغير كافى من علوم التفسير كانوا يتناولونه تناولا لغويا أكثر من توضيح مراميه الدينية (١) .

وقد أدرك الشيخ بعد نفور المشايخ منه ومن الاصلاح أنه لابد من قوة تساعده ، فسعى لدى الخديو عباس الثانى مستغلا تبعية الأزهر له وكذلك رغبته فى أن يبدو — وربما كان كذلك فى بداية عهده — فى ثوب المصلح ، ووافق على اقتراح الشيخ بتكوين مجلس ادارة يضم أكابر مشايخ الأزهر وعضوين منتدبين من الحكومة هما محمد عبده وعبد الكريم سليمان على ألا يكون لشيخ الأزهر أو المجلس رأى فى انتخابهما أو استبدالهما(٢) .

ولم يمض عام حتى أصدر الخديو قانون الاصلاح الذى شمل محاور كثيرة كان فى بدايتها اصلاح المكان بعد أن كان « مجتمع أوساخ ومهب روائح عفنة وبؤرة أمراض معدية » (٣) ، فأصلح الحمامات والمغاطس وغيرها . ويذكر رشيد رضا أن الطلاب أنفسهم كانوا جزءا من هذا المجتمع العفن حيث كان فقرهم يضطرهم لارتداء ثوب واحد طوال العام فيصعب تنظيفه ، كما كانوا يقطعون النهار

---

(١) د. عثمان أمين : المرجع السابق ص ١٠٠ .

(٢) صدر أمر الخديو بانشاء المجلس فى ١٥ مارس سنة ١٨٩٥م . أنظر : عبد الحليم الجندى : المرجع السابق ص ٧٦ . ؛ قدرى قلعجى : المرجع السابق ص ٩٧ . ؛ وحول مساندة الخديو للشيخ أنظر : محمد مصطفى المراغى : الشيخ محمد عبده بمناسبة ذكراه السادسة والثلاثين مجلة الرسالة ، العدد ٤٢٠ فى ١٩٤١/٧/٢١ .

(٣) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ ، جـ ١ ص ٤٨٠ . ؛ قدرى قلعجى : المرجع السابق ص ١٠٠

وأطراف الليل على حصير فوق بلاط » (١) . فحمل الشيخ مجلس الادارة على انشاء صيدلية وتعيين أطباء ، وألزم مصلحة الصحة العامة بمراعاة الظروف الصحية فى الأزهر وفى مساكن التلاميذ(٢) .

ثم قام بعد ذلك باصلاح مرتبات الأساتذة ووضع نظام للدرجات وتنظيم معيشة المجاورين ، وكذلك اصلاح أحوال الطلبة ، وجعل الوزارة توافق على تخصيص مبلغ فى الميزانية للتعليم في الأزهر(٣) .

ثم اتجه بعد ذلك لاصلاح نظام التدريس فحاول أن يجعل من الأساتذة قدوة وكان يوجههم بنفسه ومنع بعضهم من سب الطلاب وضربهم . كما حتم على الطلاب حضور الدروس ، واعتبر ذلك أمرا ضروريا لدخول الامتحان(٤) ، وأن تكون سيرتهم حسنة بحيث تكون ملائمة لشرف العلم والدين .

ثم قام باصـــلاح نظام الامتحانات حيث كان عـدد المتحنين لا يزيد عن ستة طلاب فى الغالب ، وفى بعض السنوات أقل من ذلك . وكان المتحنون لا يصلون بجهدهم وعلمهم وانما « بعناية الراجين والحـــاح الملحين » و « بشفاعة الشفعاء الذين لا يشفعون الا للغنى وان كان غبيا ، ويضيعون حق الفقير وان كان ذكيا » (٥) ، فقضى على كل هذا وفتح الباب أمام الكثيرين ، وحدد بداية ونهاية العام الدراسى وموعد الامتحانات . ثم سعى لدى الخديو حتى حصل

---

(١) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ج ١ ص ٤٨٠ .

(٢) عبد الحليم الجندى : المرجع السابق ج ١ ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٣) د. عبد المنعم الجميعى : المرجع السابق ص ٣٩١ .

(٤) يذكر الدكتور عبد المنعم جميعى أن عبد الله النديم قد طالب بهذه المطالب وتحققت على يد الشيخ محمد عبـــده . د. عبد المنعم الجميعى : المرجع الســـابق ص ٣٩٠

(٥) قدرى قلعجى : المرجع السابق ص ٩٨ .

على مبلغ من ديوان الأوقاف لترتيب مكتبة الأزهر ، وجمع الكتب التى كانت مهملة وملقاة فى أروقته دون تقدير لما بها ·

أما الدور الأكبر فى الاصـــلاح فكان فى مناهج التعليم فى الأزهر ، فقسم العلوم التى تدرس الى قسمين علوم المقاصد وعلوم الوســائل · فعلوم المقاصـد هى التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والأخـلاق ، أما علوم الوســائل فهى المنطق والنحو والبلاغة ومصطلح الحديث والحساب والجبر ، وقد ألزم طلاب الشهادة العالية بضرورة الامتحان فيها ، وقام بالغاء تدريس الكثير من الكتب العقيمة كالشروح والحواشى والتقارير · ثم قام بعـد ذلك بادخال دروس ومحــاضرات جــديدة فى علوم التاريخ والتاريخ الطبيعى والرياضيات والجغرافيــا والفلسفة والاجتماع وغيرها ، وقد تولى التدريس بنفسه فى أغلب هذه العلوم(١) · وكان كثيرا ما يوضح للطلاب ضرورة استقلال العقل فى العلم والفهم ، ويدعوهم للعادات الحسنة كعزة النفس والسخاء والوفاء والاخلاص وغيرها(٢) · وأدخل العديد من الكتب التى تساعده على تحطيم حاجز الخوف من الجديد لدى الطلاب والدارسين(٣) ·

وكان من الواضح أن الشيخ لن يستطيع وحده أن يحقق كل ما يريد ، كما أن طريقة تعامله مع شيوخ الأزهر ـ كما ســبق التوضيح ـ قد خلقت أمامه العقبات ، على الرغم من أنه ـ وانتقده البعض فى هذا ـ قد اعتمد عليهم فى الاصلاح · وكذلك فان الشيخ كان يريد الاصلاح بسرعة لعدم ثقته فى دوام مناصرة الخديو ، ومثل

---

(١) د· عثمان أمين : محمد عبده ومحاولة اصلاح الأزهر ، مجلة الرسالة ، العدد ٤٠٦ فى ١٩٤١/٤/١٤م ·

(٢) محمد رشيد رضا : المرجع السابق جـ ص ٥٦٧ ·

(٣) عبد الحليم الجندى : المرجع السابق ص ٧٧ ·

هذا النوع من الاصلاح يتطلب وقتا طويلا · ولم تكن هناك كوادر تتولى توصيل العلوم الجديدة بجانب الشيخ أو بعده ، وحدث ما توقعه الشيخ حيث لم تدم ظروف مساندة الخديو لمناهج الاصلاح بسبب صدامه مع الشيخ(١) · وكانت العقبة الثانية الى جانب الخديو مشايخ الأزهر ، فلم يكن سبب معارضتهم للاصلاح وللشيخ هو سوء القصد أو الحقد على شخصه فقط وانما لعدم الفهم كذلك ، فكان الشيخ لا يتورع عن تعريتهم والاستعراض عليهم بالعلوم الجديدة التى أدخلها فى الأزهر ، واقتصر دورهم على تدريس بعض العلوم التقليدية · وازدادت تعريتهم حينما أراد الشيخ تغيير المناهج وقرر الاستغناء عن الكتب القديمة ، وأدركوا أن مكانتهم وهيبتهم ستضيع ولابد أن يتحينوا الفرصة لمهاجمة الشيخ وخططه الاصلاحية، وما منعهم من ذلك سوى مساندة الخديو له · ولهذا فانه عندما وقعت الخصومة بين الخديو والشيخ سارع المشايخ بالاتفاق مع الخديو على هدفه ومهاجمة برامج الاصلاح ، واتخذ بعضهم من جريدة المؤيد ـ وكان ذلك بايحاء من الخديو ـ وغيرها سبيلا للهجوم عليه ، ووصل الأمر الى حد أن شيخا من شيوخ الأزهر حرم تعليم الحساب والجبر والتاريخ فى الأزهر(٢) · ونشر بعضهم صورة للشيخ تحيطه النساء بقصد تجريحه ، وأكد تلميذه رشيد رضا أن هذه الصورة ملفقة(٣) ·

وتألف فى الأزهر حزب معارضة برئاسة الشيخ محمد الرفاعى كان لا هم له الا الهجوم على مجلس ادارة الأزهر والشيخ محمد عبده

---

(١) عبد العاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٢٥٢ ·

(٢) محمد مصطفى المراغى : محمد عبده بمناسبة ذكراه ، مجلة الرسالة ، العدد ٤٢٠ فى ١٩٤١/٧/٢١م ·

(٣) محمد رشيد رضا : المرجع السابق جـ ١ ص ٥٥٨ ·

ومناهج الاصلاح ، وأنشأ المعارضون جريدة يومية اسمها «الظاهر» لهذا الهدف فقط . وحاول الخديو عزله من منصب الافتاء لولا تدخل كرومر (١) ، كما أرسل من يحاول اقنـــاع الشـــيخ بترك أرض الأوقاف له مقابل العودة لمساعدته فى خططه الاصلاحية ، لكن الشيخ رفض مثل هذا الأمر حيث أدرك أن مثل هذا الأمر سيجعله عرضة للهجوم والنقد ويعرض جهوده الاصلاحية للنقد كذلك(٢) . وبرغم كل هذا ظل الشيخ حريصا على أن يكون الأزهر والأوقاف تابعـة للخديو ولا تتحول التبعية للحكومة التى يسيطر عليها الاحتـلال . ولم يجد من بد فى النهاية وبعد أن ضيق الخديو الخناق عليه ، وبعد أن فقد أى عون من مشايخ الأزهر ، ســـوى أن يقدم استقالته من مجلس ادارة الأزهر .

ومع ذلك ظلت التربية والتعليم هى القبلة التى ارتضـــاها الشيخ ، وكان الى جانب ذلك مقتنعا بضرورة وجود قوة تسانده ، ولم يكن قد بقى أمامه سوى كرومر فتقدم له بلائحة لاصلاح التعليم يرى فيها جعل التربية الدينية أساس التعليم فى المدارس والكتاتيب، وأن يعلم تاريخ الاسلام باللغة العربية فى المدارس التجهيزية ، وكان ذلك معارضا لسياسة الاحتلال التعليمية ، وبالتالى فان كرومر لم يعر هذه اللائحة أى اهتمام . وقد انتقد صاحب المنار الشيخ محمد عبده لأنه وثق فى عميد الانجليز وأمل فى مســاندته للاصـلاح ، واتهمه بالخيـــال ، ورد الشيخ على ذلك بأنه ســـار على المثـــل القائل : « ان لم ينفع لن يضر » (٣) .

---

(١) د. عثمان امين : رائد الفكر المصرى ، ص ٢١٣ ـ ٢١٥ .

(٢) محمد رشيد رضا : ج ١ ص ٥٥٧ .

(٣) المنار : م ١١ سنة ١٣٣٦ هـ . ص ١٨٩ ، ١٩٠ . وقد طـــالب الشيخ بما تضمنته اللائحة فى مجلس الشورى سنة ١٩٠٤م .

وانضم الشيخ الى ركب الداعين الى تأسيس جامعة مصرية حديثة لتحل محل الأزهر الذى لم يتمكن ـ بل يئس ـ الشيخ من اصلاحه ، لكنه أكد على طابعها الاسلامى وهو طابع لم تتضمنه دعوة أغلب الداعين الى قيام هذه الجامعة ، ففى الوقت الذى بارك فيه الكثير منهم مدارس الطب والهندسة والحقوق باعتبارها نواة لهذه الجامعة ، هاجم الشيخ مناهج التعليم فيها لأنها تسهم فى تخريج محترفين لا علماء ، وقال أن الجامعة المثلى فى رأيه لابد أن تكون جامعة اسلامية ثم مصرية هدفها تعليم العلم وفقا للمناهج الحديثة فى اطار التصور الاسلامى وتتولى تجديد الحضارة العربية القديمة(١) ، وهى آراء تحدد أبعاد الاصلاح الذى كان يريد أن يكون الأزهر عليه ٠

بعض آرائه الاقتصادية والاجتماعية

سبق القول بدعوة الشيخ لفتح باب الاجتهاد لامكان التصدى لعديد من القضايا المعاصرة ، واستحسن الاستفادة بآراء أصحاب المذاهب الأربعة جميعهم وبالأخص مذهب الامام مالك الذى يركز على مبدأ المصلحة دون الاصطدام بأحكام ومبادىء أساسية فى الشريعة الاسلامية « أينما كانت المصلحة فثم شرع الله » ٠ وقد طبق ذلك فى فتاويه التى اتسمت بالجرأة فأباح التعامل مع البنوك بادخار الأموال فيها وأخذ الفوائد والأرباح عليها(٢) ٠ ويبدو أنه قد بنى موقفه على مبدأ المصلحة ، وعدم وجود منهج اقتصادى اسلامى عصرى متكامل يمكنه الاسهام فى حل المشكلة الاقتصادية والاجتماعية وأنه

---

(١) د٠ عثمان أمين : رائد الفكر المصرى ، ص ٥٥ ـ ٥٧ ٠ ؛ د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر السياسى ص ٣٧ ٠

(٢) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ ، ج ٢ ص ٦٤٧ ٠ ؛ د٠ عثمان أمين : رائد الفكر المصرى ، ص ٥١ ٠

فى ذلك لا ضرر ولا ضرار ، كما أن عنصر الاستغلال للحاجة والمواقف ليس موجودا فى تعاملات البنوك ٠

وعملا بمبدأ شرعى وهو أن « الضرورات تبيح المحظورات أباح الشيخ للمسلمين الذين يعيشون فى بلاد غير اسلامية « مسلمى الترنسفال » أن يأكلوا من ذبائح غير المسلمين طالما هى مذبوحة وليست موقوذه ، وكذلك بلبس البرانيط لحجب الشمس وهى ما تسمى بالفتوى الترنسفالية ، وأباح لهم كذلك أن يتزيوا بزى البلاد التى يعيشون فيها ، فهاجمته صحيفتا « اللواء » و « الظاهر » التى أسسها مشايخ الأزهر للهجوم عليه(١) ٠ وقد رد الشيخ على هذه الحملات الهجومية ببيان ما ترتب على غلق باب الاجتهاد حيث ضعفت روح الابتكار واكتشاف الجديد من مظاهر التطور المادى والفكرى ، وقال : « لقد أخطأ المسلم فى فهم معنى التوكل والقدر فمال الى الكسل وقعد عن العمل ، ظن أن الخير ملازم لعنوان المسلم ، كما أخطأ فى فهم معنى الطاعة لأولى الأمر والانقياد لأوامرهم فألقى مقاليده الى الحاكم ووكل اليه التصرف فى شئونه ثم أدبر عنه حتى ظن أن الحكومة يمكنها القيام بشئونه جميعا من ادارة وسياسة (٢) ٠

أما عن دوره **فى اصلاح القضاء الشرعى** فكان ذلك فى أعقاب تعيينه مفتيا للديار المصرية فى يونية سنة ١٨٩٩ م ٠ وكان فساد المحاكم الشرعية قد بلغ مبلغا كبيرا لدرجة وصلت الى المطالبة بالغائها وضم أعمالها الى المحاكم الأهلية بحجة توحيد القضاء ٠ وما ان تولى الشيخ منصب الافتاء الا وسعى لدى ناظر الأوقاف طالبا تفويضه فى اصلاحها ٠ وقبل أن يتقدم بتقرير عن هذه المحاكم قام بجولة أعد

---

(١) أحمد أمين : المرجع السابق ص ٣٢٢ ٠ ؛ د٠ عثمان أمين : المرجع السابق ٥٢ ٠

(٢) محمد عمارة : الأعمال الكاملة ، جـ ٣ ص ٤٨١ ٠

بعدها تقريره الذى تضمن وصف حالتها وعرض بنود الاصلاح بها ، فطالب بتوسيع دائرة اختصاصها ، وعدم قصر منصب القضاء على فقهاء المذهب الحنفى · لكن القضية الهامة التى تضمنها تقريره هى المطالبة بتشكيل لجنة من كبار المشـايخ ليستخرجوا من الشريعة ما فيه شـفاء لعلل المسـلمين فى جميع أبواب المعاملات خصوصا ما لا يمكن النظر فيه لغير المحاكم الشرعية من الأحوال الشـخصية والأوقاف ، وضرب لهم أمثلة لقضايا اجتماعية واقتصـادية عديدة لا توجد لها حلول فى الشريعة الاسلامية ، واستدل من هذه القضايا على مكمن الداء عند المسلمين الذى كان يشير اليه عند كل قضية وهو فتح باب الاجتهاد الذى يخدم جانب المعاملات ، فى حين أن العبادات ـ التى اقتصر عليها التدريس فى الأزهر فى الغالب ـ لا تحتاج فى أغلبها الى الاجتهاد(١) ·

وقد حاول أن يعد تقريرا شاملا لاصلاح المسـاجد وتنظيمها وتطوير مهمتها ، وتحديد مواصفات اختيار الأئمة والخطباء ، لكن ذلك كان فى نهاية حياته وكان تابعا لدوره فى اصلاح الأزهر الذى يتخرج منه الأئمة والخطباء ·

ولم تمنعه نشأته الصوفية من **توجيه النقد الشديد للمتصوفة** الذين قصروا الحياة الأخلاقية أو الدينية فى مراعاة رسوم خارجية ، وكذلك الاسراف فى الزهد ، وحملهم مسئولية المفاسـد والبـدع والخرافات ، فضلا عن أنه قد هاجم القائلين منهم بوحـدة الوجود كمحيى الدين بن عربى وغيره ، وقـد التقى فى هذا مع المفكرين السلفيين وفى مقدمتهم الامام ابن تيمية · وهاجم كذلك ما يحدث فى الموالد والأذكار وتعظيم قبور المشايخ والاعتقاد فى سلطتهم

(١) عبد المنعم حمادة : محمد عبده ، ص ١٧٧ · ؛ عبد الحليم الجندى : المرجع السابق ص ٨٢ ·

الغيبية بحيث تعلو الأسباب التى ارتبطت بها على المسببات (١) ٠ وكان يرى أن التصوف ينبغى أن يقتصر على تربية وتهذيب النفوس وتقويم العادات ، وقد اتفق معه فى هذا بعد ذلك تلميذه رشيد رضا والشيخ حسن البنا الذى تزعم جماعة الاخوان المسلمين (٢)٠

وشملت برامج الشيخ الاصلاحية **موقفا جريئا تجاه المرأة المصرية** فطالب بعدم تعدد الزوجات ، وتصدى لتفسير الآيات والأحاديث الخاصة بذلك بما يؤكد وجهة نظره ، واستدل على أن الأصل فى القضية عدم التعدد بآيات الميراث التى تجعل للذكر مثل حظ الانثيين فى حين يظل ميراث الزوجة هو الثمن سواء كانت واحدة أو أكثر ، واعتبر تعدد الزوجات مرض ينبغى علاجه ، وأنه يؤدى الى مزيد من المآسى فى المجتمع وأن المصلحة توجب الوقوف أمام هذا الأمر من زاوية أن « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » (٣) ٠

كما دعا ــ وفى هذا جرأة كبيرة ــ الى أن من حق الزوجة أن تطلب الطلاق من زوجها بسبب شرعى على أن تثبته بطريقة شرعية ، لكنه لم يضرب الأمثلة على ذلك ، كما لم يتعرض للنصوص الفقهية التى تحكم هذه القضية ٠

والرأى الأكثر جرأة للشيخ هو موافقته على دخول المرأة فى المعترك السياسى ، فقد دفع الأميرة نازلى فاضل ــ حيث كان من رواد

---

(١) د٠ عثمان أمين : المرجع السابق ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ٠ ؛ د٠ عبد المنعم الجميعى : المرجع السابق ص ٣١٠ حيث يذكر موقف عبد الله النديم من التصوف فى حين يذكر أن محمد عبده لم يكن له موقف من التصوف ٠

(٢) د٠ زكريا سليمان : الاخوان المسلمون ص ٢٧١ ٠

(٣) د٠ عثمان أمين : المرجع السابق ص ٢٢٨ ــ ٢٣٢ ٠ ؛ محمد رشيد رضا : المرجع السابق جـ ١ ص ٩٣٥ ٠

صالونها ـ الى العمل السياسى (١) • واذا كان ذلك راجع الى مكانة الأميرة ومدى تأثيرها ، ولأنها كانت على خلاف مع الخديو عباس الثانى لأنها من أبناء محمد على من غير فرع اسماعيل ، الا أن الشيخ لم يشر الى أية محاذير حـول دورها ـ أو دور المرأة عموما ـ فى المعترك السياسى ، وكان ذلك سابقـا لما كتبه قاسم أمين الأمر الذى يدعو الكثيرين للقول بتأثر قاسم أمين ـ فى هذا الجانب ـ بفكر أستاذه •

ومن جهة أخرى فقد استمر عمله فى **الجمعية الخيرية الاسلامية** التى كان قد أسسها سـنة ١٨٩٥ والتى تهدف الى اعانة المنكوبين والمساعدة على نشر التعليم ، والعناية بالتربية الدينية ومقاومة مدارس التبشير ، وأولى عناية خاصة باللغة العربية ومقاومة سياسة الاحتلال التعليمية(٢) •

كما أسس **جمعية أخرى لاحياء الكتب العربية القديمة** ، ويبدو أن هـذه الجمعيات قد احتلت من الشيخ أهميـة أقل من جهوده الاصلاحية الأخرى فى الأزهر والأوقاف والتعليم والمحاكم الشرعية وغير ذلك ، وبالتالى فان أثرها لم يكن ملموسا ، وربما كان ذلك يرجع الى قلة مواردها اذا ما قيست بأهدافها •

---

(١) عبد الحليم الجندى : المرجع السابق ص ٥٥ •

(٢) كتب الشيخ أول مقال عن هذه الجمعية فى الوقائع المصرية سنة ١٨٨٠ حيث طالب بانشائها ، كما أنشأ جمعيتين فى الشـام وباريس فى السنوات العشر (١٨٨٠ ـ ١٨٩٠م) ، وكان مجلس ادرتها ينعقد فى مجلس الغورى ، وقد رفض السلطان حسين كامل رئاستها وترك للشيخ الرئاسة سنة ١٩٠٠ ، وكان وكيلها حسن عاصم الذى كان يعمل فى ديوان الخديو ـ انظر : عبد الحليم الجندى : المرجع السابق ص ٥٨ • ؛ د• عثمان أمين : المرجع السابق ص ٥٣ • ؛ عبد العـاطى محمد أحمد : المرجع السابق ص ٧٢ •

خاتمة

لقد ظل الفكر الاسلامى فى أعقاب الفتح العثمانى راكدا فى أغلبه ، وذلك لانشغال العثمانيين بالفتوحات زمنا طويلا ، ثم بالدفاع زمنا أطول • ولم توجد مشاكل وقضايا جديدة فى الاطار السياسى حيث انتقلت الخلافة من ورثة العباسيين الضعفاء الى آل عثمان الأقوياء والذين تسلموا الراية الاسلامية وأثلجوا صدور المسلمين بضم كثير من الأراضى تحت لوائها ، وكسر شوكة الغرب المسيحى الذى أقلق المشرق الاسلامى ردحا من الزمن • ولم تطرأ مشاكل اجتماعية واقتصادية الا فى حدود ضيقة وتم حلها بالطرق التقليدية وذلك لأن العثمانيين قد تركوا شأن الولايات العثمانية لحكامها داخليا •

كما أنه لم تكن للعثمانيين هوية أو أصول حضارية قبل اعتناقهم الاسلام ، فقضوا الفترة ما بين زمن الفتح وزمن الدفاع فى استيعاب القسط الحضارى الذى وصلت اليه الحضارة الاسلامية والذى توقف قبيل فتحهم ومنذ النصف الثانى من العصر العباسى ، ولم يكن لهم بالتالى اسهام حضارى يضيفونه فتجمدت الحضارة الاسلامية •

وفى نفس الوقت كانت أوربا قد قامت بدور النقل والتمحيص لهذا القسط الحضارى ، وأضافت اليه الكثير من رصيدها الحضارى وكانت فى دور الصهر للرصيد الحضارى الانسانى برمته والاعداد لقالب أوربى يميزه ، فرجحت كفتها الحضارية على كفة العالم الاسلامى بزعامة العثمانيين •

وجاء أول تنبيه لهـــذه الحقيقة فى الحملة الفرنسية على مصر والشام فى أواخر القرن الثامن عشر ، ثم فى دور محمد على الذى اعتمد على الحضارة الغربية فى تحديث دولته ·

وكان صوت الأفغانى هو أول صوت على مستوى العالم الاسلامى يوضح قلق المسلمين ، وينبههم الى ضرورة البحث عن مخرج لاحياء المقومات الحضارية الاسلامية ولما يراد بهم من قبل الدول الغربية ·

وما أن استيقظ المسلمون فى مصر على صوت الأفغانى الا وأطبق الاستعمار البريطانى عليهم ، فانحصرت جهودهم فى الميدان السياسى فى محاولة لتحقيق الجلاء ، لكن ضعفهم الشامل حال دون تحقيق أهدافهم· وجاء صوت محمد عبده ليذكرهم أن الاعداد للجلاء يستوجب العمل ـ ووفقا للمفهوم الشمولى الاســـلامى ـ فى كافة المجـالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية دون الانحصار في جانب السياسة فحاربوه ولم يستوعبوا أفكاره ، ومات دون أن يحقق أهدافه التى كانت ومازالت حية تستوجب النظر ، وعادوا ليحصروا نشاطهم فى الميدان السياسى بحجة ـ أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ـ ، ومن هنا يمكن تفسير أسباب الصـــدام الدائم بينهم وبين الأنظمة السياسية التى تأخذ عليهم خلو تصورهم من نظرة عصرية للاسهام فى حل المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية الأمر الذى يدعو ـ بحكم المسئولية ـ للاستعانة بأنظمة غربية ، ويأخذون هم على هذه الأنظمة الابتعاد عن الأصول الاسلامية فى حل هذه المشاكل ·

وتوحى آراء الشيخ بالقول بأن الذين يقصرون مهمة الدين على حدود ضيقة من العبادات ، ويرهبون العامة من خلال تجسيد ألوان العقاب ، أو الذين يثيرون اشفاق الناس على الدين من خلال ذكريات صدام أقطابهم الحتمى مع الأنظمة السياسية ويصيغونها فى قالب

رومانسى ، لا هؤلاء ولا هؤلاء يستطيعون القيـــام بمهمة الترشـيد والتوجيه للحركة الاسلامية المعاصرة حيث تحتاج هـــذه الحركة الى تعقل وتفهم لا الى اشفاق أو ارهاب ٠ كما أن مئات المؤلفات التى أعدتها هذه الفئات وفى فترة الربع قرن الفائت بالذات ، وكتبتها فى اطار التزام اقتصادى سلفى بعد هجرتها الى مناطق الجذب الاقتصادى والدينى ، دون أن تكون مؤمنة أو مقتنعة بأغلب ما بها قد أسهمت وستسهم فى اتساع الهوة بين الفكر الاسلامى والحضارة المعاصرة ، وبالتالى مزيد من الصدام بين الأنظمة السياسية الملزمة بمسايرة الركب الحضارى والحركات الاسلامية التى تزداد ابتعادا وانحرافا عن هذا الركب وبحكم هذه المؤثرات ، وبالتالى فان الكم الهائل من هذه المؤلفات يعد مؤامرة على مستقبل الفكر والعمل الاسلامى ، والمستقبل الحضارى للشعوب الاسلامية ٠

وبأسـلوب آخر فان أزمة الثقة بين الأنظمة السـياسية وبين دعاة الفكر الاسلامى مازالت تدعو لدراسة آراء الشيخ محمد عبـده وغيره من المجددين المسلمين حتى يمكن المواءمة بين الاسلام باعتباره دين حضارى وباعتبار أنه كان ومازال ـ وأعتقد أنه سيظل ـ العنصر الأساسى فى المكونات الثقافية للعقلية المصرية ، وبين متطلبات العصر الحديث وخلق جسر آمن بينهما ٠

كما يستوجب تفهم ومساندة ـ بل وتشجيع ـ الحكومات المستنيرة لدور الفئة المثقفة المستنيرة التى علق الشيخ محمد عبده الأمل عليها ، والتى فقد الأمل فى وجودها فى الأزهـر ، لتقوم ـ من خلال التزام عقائدى أخلاقى ووطنى ـ بدور الاعـداد السياسى والتوعية الثقافية بكافة قضايا المجتمع ، وهو دور شـــاق يحتاج جهدا ومثابرة ، ولا يأتى أكله الا بعد فترة طويلة ٠

المصادر والمراجع

المراجع العربية

— د. ابراهيم العدوى

رشيد رضا الامام المجاهد ـ سلسلة اعلام العرب (٣٣) القاهرة

— د. ابراهيم شلبى

تطور النظم السياسية والدستورية فى مصر ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة سنة ١٩٧٤ .

— أبو الحسن على الندوى

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ ط ٧ ـ الكاتب العربى ـ بيروت سنة ١٩٦٧ م .

— أحمد الشايب

الشيخ محمد عبده ـ القاهرة ـ سنة ١٩٢٩ م .

— أحمد أمين

زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ سنة ١٩٦٥ م .

— **احمد توفيق مدنى**

حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ١٤٩٢ ـ ١٧٩٢ م ـ ط ٢ الجزائر سنة ١٩٧٦ م ٠

— **د٠ أحمد حسين الصاوى**

فجر الصحافة فى مصر ـ دراسة فى أعلام الحملة الفرنسية ـ القاهرة سنة ١٩٧٤ م ٠

— **د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى**

مصر والمسألة المصرية ١٨٧٦ ـ ١٨٨٢ م ـ دار المعـــارف ـ القاهرة ـ سنة ١٩٦٥ م ٠

— **د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى**

تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ـ معهد الدراســـات العربية ـ القاهرة سنة ١٩٧٣ م ٠

— **د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى**

تاريخ مصر السياسى من الاحتلال الى المعاهدة ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٧ م ٠

— **د٠ أحمد عزت عبد الكريم**

دراســـات فى تاريخ العرب الحديث ـ دار النهضة العربية ـ بيروت سنة ١٩٧٠ م ٠

— **أحمد مرغنى محمد**

رفاعة الطهطاوى ـ ثقافته وأدبه ـ المطبعة العصرية ـ اسكندرية سنة ١٩٧٥ م ٠

— **د. السيد محمد الدقن**

دراسات فى تاريخ الدولة العثمانية ـ القاهرة ، ١٩٧٩ م .

— **برنارد لويس**

الغرب والشرق الأوسط ـ ت : د. نبيل صبحى ـ بيروت سنة ١٩٦٥ م .

— **تيودور رتشتين**

تاريخ المسألة المصرية ـ ت : عبد الحميد العبادى ومحمد بدران ـ ط ٣ القاهرة سنة ١٩٥٠ م .

— **د. جلال يحيى**

المغرب الكبير ـ العصور الحديثة وهجوم الاستعمار ـ الدار القومية سنة ١٩٦٦ .

— **د. جلال يحيى**

مصر الحديثة ١٥١٧ ـ ١٨٠٥ ـ منشأة المعارف ـ الاسكندرية ـ ب . ت .

— **د. جلال يحيى**

العالم العربى ـ ج ١ ـ المدخل ـ دار المعارف ـ القاهرة سنة ١٩٧٩ م .

— **جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده**

العروة الوثقى ـ دار الكاتب العربى ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٠ م .

— د٠ جمال الدين الشيال

تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة سنة ١٩٥١ م ٠

— جورج انطونيوس

يقظة العرب ـ تعريب على حيدر الركابى ـ مطبعة الترقى ـ دمشق سنة ١٩٤٦ م ٠

— د٠ جوزيف حجار

أوربا ومصير المشرق العربى ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٦ م ٠

— خير الدين الزركلى

قاموس الأعلام ـ تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ط ٣ ـ ١٣٧٣ هـ ـ ١٣٧٨ هـ (١٩٥٤ ـ ١٩٥٩ م) ٠

— ٠ ر ٠ دفورستيه

هذه هى الماسونية ، ت : بهيج شعبان ـ دار بيروت ١٩٥٥ م ٠

— د٠ زكريا سليمان بيومى

الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية فى الحياة السياسية المصرية ١٩٢٨ ـ ١٩٤٨ مكتبة وهبة ـ القاهرة ١٩٧٩ م ٠

— د٠ زكريا سليمان بيومى

الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ١٩٠٧ ـ ١٩٥٣ ـ القاهرة سنة ١٩٨١ م ٠

ــــ د٠ سليمان محمد الغنام

قراءة جديدة لسياسة محمد على التوسعية ١٨١١ ـ ١٨٤٠ م ـ تهامه للنشر ، السعودية ١٩٨٠ م ٠

ــــ د٠ سميره بحر

الأقباط فى الحيـــاة السياسية المصرية ـ الانجلو المصرية ـ القاهرة سنة ١٩٧٩ م ٠

ــــ د٠ شوقى ضيف

فصول من الشعر ونقده ـ القاهرة سنة ١٩٧١ م ٠

ــــ صادق نشأت وعبد النعيم حسنين (ترجمة)

جمال الدين الأسدبادى المعروف بالأفغانى ـ الانجلو ـ القاهرة سنة ١٩٥٧ م ٠

ــــ صبحى وحيده

فى أصول المسألة المصرية ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ بدون تاريخ ٠

ــــ د٠ صلاح العقاد

المغرب العربى ـ دراسة فى تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة ـ الانجلو ـ القاهرة سنة ١٩٨٠ م ٠

ــــ د٠ صلاح العقاد

التيارات السياسية فى الخليج العربى ـ الانجلو ـ القاهرة ـ سنة ١٩٧٤ م ٠

ـــ طارق البشرى

المسلمون والأقباط في اطار الجماعة الوطنية ـ القاهرة ١٩٨٠م ٠

ـــ طاهر الطناحى

مذكرات الامام محمد عبده ـ دار الهلال ـ القاهرة بدون تاريخ

ـــ عباس العقاد

محمد عبده عبقرى الاصلاح والتعليم ـ اعلام العرب ـ القاهرة سنة ١٩٦٢ م ٠

ـــ عبد الحليم الجندى

الامام محمد عبده ـ سلسلة اعلام الاسلام ـ دار المعارف ـ القاهرة بدون تاريخ

ـــ عبد الحميد الثانى (السلطان)

مذكرات السلطان عبد الحميد الثانى ـ ت : محمد حرب ـ دار الأنصار ـ القاهرة سنة ١٩٧٧ م ٠

ـــ عبد الرحمن الجبرتى

تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ـ دار الفارس ـ بيروت ـ بدون تاريخ ٠

ـــ عبد الرحمن الرافعى

الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ـ ط ٢ ـ النهضة المصرية ـ القاهرة سنة ١٩٤٩ م ٠

ـــ مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ـ ط ٤ ـ النهضة المصرية ـ القاهرة سنة ١٩٦٢ م ٠

— عصر اسماعيل ـ النهضة المصرية ـ ط ٢ ـ ١٩٤٨ م ٠

— جمال الدين الأفغانى باعث نهضة الشرق ـ اعلام العرب (٦١) القاهرة سنة ١٩٦١ م ٠

— **عبد العاطى محمد أحمد**

الفكر السياسى للامام محمد عبده ـ الهيئـة العامة للكتاب ـ القاهرة سنة ١٩٧٨ م ٠

— **د٠ عبد العزيز الشناوى**

الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ـ الانجلو المصرية ـ سنة ١٩٨٠ م ٠

— أوربا فى مطلع العصور الحديثة ـ ج ١ ـ ط ٣ ـ الانجلو ـ القاهرة سنة ١٩٧٧ م ٠

— **د٠ عبد العظيم رمضان**

صراع الطبقات فى مصر ١٩٣٧ ـ ١٩٥٢ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٨ م ٠

— **د٠ عبد الكريم رافق**

العرب والعثمانيون ١٥١٦ ـ ١٩١٦ م ـ دمشق سنة ١٩٧٤ م٠

— **د٠ عبد الله العروى**

تاريخ المغرب ـ ت : د٠ ذوقان قرقوط ـ بيروت سنة ١٩٧٧ م ٠

— **عبد المتعال الصعيدى**

المجددون فى الاسلام ـ مطبعة مكتبة الآداب ـ القاهرة ـ بدون تاريخ ٠

— د· عبد المنعم ابراهيم الدسوقى الجميعى

عبد الله النـــديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية ـ القاهرة ـ سنة ١٩٨٠ م ·

— عبد المنعم حماده

محمد عبده ـ القاهرة ـ سنة ١٩٤٥ م ·

— عبد المنعم شميس

سفير الله ـ جمال الدين الأفغانى ـ القاهرة سنة ١٩٦٩ م ·

— د· عثمان أمين

رائد الفكر المصرى الامام محمد عبده ـ الانجلو ـ القاهرة سنة ١٩٦٥ م ·

— د· على الدين هلال

السياسة فى الحكم فى مصر ـ القاهرة سنة ١٩٧٧ م ·

— د· على المحافظة

الاتجاهات الفكرية عند العرب فى عصر النهضة ١٧٩٨ ـ ١٩١٤ ـ ط ٢ ـ بيروت ١٩٧٨ م ·

— د· على حسون

تاريخ الدولة العثمانية ـ المكتب الاسلامى ـ بيروت ـ سنة ١٩٨٠ م ·

— د· على عبد الحليم محمود

جمال الدين الأفغانى ـ دار عكاظ للنشر ـ السعودية ١٩٧٩ م ·

— **عمر رضا كحالة**

معجم المؤلفين - تراجم مصنفى الكتب العربية - جـ ١٠ - مكتبة المثنى - بيروت .

— **د. عمر عبد العزيز عمر**

عبد الرحمن الجبرتى ونقولا الترك - دراسة مقارنه - بيروت سنة ١٩٧٨ م .

— دراسات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر - النهضة العربية - بيروت سنة ١٩٨٠ م .

— دراسات لمصادر عربية عن تاريخ مصر العثمانية - النهضة العربية - بيروت سنة ١٩٧٧ م .

— **فتحي يكن**

حركات ومذاهب فى ميزان الاسلام - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢ سنة ١٩٧٧ م .

— **قدرى قلعجى**

محمد عبده بطل الثورة الفكرية فى الاسلام - ط ٢ - العلم للملايين - بيروت سنة ١٩٥٦ م .

— جمال الدين الأفغانى - حكيم الشرق - ط ٣ العلم للملايين - بيروت سنة ١٩٥٦ م .

— **كارل بروكلمان**

تاريخ الشعوب الاسلامية - ت : أمين فارس ومنير بعلبكى - العلم للملايين - بيروت سنة ١٩٤٨ م .

— **ماتيور أندرسون**

تاريخ القرن الثامن عشر فى أوربه ـ تعريب د · نور الدين حاطوم ـ دمشق سنة ١٩٧٧ م ·

— **د· ماجد فخرى**

تاريخ الفلسفة الاسلامية .. ت : د· كمال اليازجى ـ المتحدة للنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٩ م :

— **مارون عبود**

رواد النهضة الحديثة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٥٢ م ·

— **د· مجيد خدورى**

الاتجاهات السياسية فى العالم العربى ـ المتحـــدة للنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٢ م ·

— عرب معاصرون ـ أدوار القادة فى السياسة ـ المتحدة للنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٣ م ·

— **محمد أديب غالب**

من أخبـار الحجاز ونجد فى تاريخ الجبرتى ـ دار اليمامة ـ السعودية ـ ط ١ سنة ١٩٥٧ م ·

— **د· محمد أنيس**

الدولة العثمانية والمشرق العربى ـ الانجلو المصرية ـ القاهرة سنة ١٩٦٣ م ·

— د. محمد البهى

الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ـ ط ٨ ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة سنة ١٩٧٥ م .

— محمد المخزومى

خاطرات جمال الدين ـ بيروت ـ سنة ١٩٣١ م .

— محمد رشيد رضا

تاريخ الأستاذ الامام ـ ٣ أجزاء ـ مطبعة المنـار ـ القاهرة سنة ١٩٣١ م .

— محمد عماره

العروبة فى العصر الحديث ـ القاهرة سنة ١٩٦٧ م .
الاعمال الكاملة للامام محمد عبده ـ ج ١ ـ العربية للنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٢ م .

— محمد فتحى عثمان

الفكر الاسلامى والتطور ـ ط ٢ ـ الدار الكويتية ـ ١٩٦٩ م .

— محمد فريد بك

تاريخ الدولة العلية ـ دار الجيل ـ بيروت سنة ١٩٧٧ م .

— د. محمد فؤاد شكرى

مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١ ـ ١٨١١ م ج ٣ ـ مطبعة جامعة القاهرة سنة ١٩٥٨ م .

— بناء دولة مصر محمد على ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ١٩٤٨ م
الحملة الفرنسية وظهور محمد على ـ دار المعارف ـ بدون تاريخ

ـــ د٠ **محمد محمد حسين**

الاتجاهات الوطنيـــة فى الأدب المعاصر ـ جزءان ـ ط ٣ ـ النهضة العربية ـ بيروت سنة ١٩٧٢ م ٠

ـــ الاسلام والحضارة الغربية ـ ط ١ ـ المكتب الاسلامى ـ بيروت سنة ١٩٧٩ م ٠

ـــ د٠ **محمود حسن صالح منسى**

مشروع قناة السويس بين أتباع سان سيمون وفرديناند دى ليسبس القاهرة سنة ١٩٧١ م ٠

ـــ **مصطفى عبد الرازق**

محمد عبده ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ سنة ١٩٤٦ م ٠

ـــ د٠ **مكى شبيكة**

تاريخ شعوب وادى النيل (مصر والســـودان) فى القرن التاسع عشر ـ دار الثقافة ـ بيروت سنة ١٩٦٥ م ٠

ـــ د٠ **نازك سابايارد**

الرحالون العرب وحضارة الغرب فى النهضة العربية الحديثة ـ مؤسسة نوفل ـ بيروت سنة ١٩٧٩ م ٠

ـــ د٠ نجلاء عز الدين

العالم العربى ـ ت : محمد عوض ابراهيم وآخرون ـ دار احياء الكتب العربية ـ الحلبى وشركاه ـ ط ٢ ـ القاهرة ١٩٦٢ م

ـــ د٠ **نور الدين حاطوم**

تاريخ عصر النهضة الأوربية ـ دار الفكر الحديث ـ لبنـــان سنة ١٩٦٨ م ٠

— وليام غازى كار

أحجار على رقعة الشطرنج ـ ترجمة سعيد جزائرلى ـ مراجعة وتحرير م ٠ بدوى، دار النفائس ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٣م

— د٠ يوسف ايبش

رحلات رشيد رضا ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ ط ٢ ـ بيروت سنة ١٩٧٩ م ٠

— د٠ يونان لبيب رزق

الحياة الحزبية فى مصر ١٨٨٢ ـ ١٩١٤ ـ مكتبة الانجلو ـ القاهرة سنة ١٩٧٠ م ٠

المراجع الافرنجية

- Abdel Malek, Anwar : Egypt Military Society, New York.
- Ahmed, Mohammed Jamal : The intellectual Origins of Egyptian Nationalism, London, Oxford University, Press, 1960.
- Blunt, Wilfrid Scawen : Secret history of the British occupation of Egypt. London 1907.
- Dunne, J. Heywarth : An introduction to the History of education in modern Egypt (London n.d.).
- Fisher, Sydney Nettleton : Social Forces in the Middle East, New York, 1968.
- Goldschmidt, Arther Edward : The Egyptian National Party (PHD. Dessertation) unpublished, Harvard University) U.S.A. 1968.
- Hourani, Albert : Arabic thought in the libral age (London, Oxford University press 1961)
- Landaw, Jacob : Parliaments and Parties in Egypt, New York,, 1954.
- Milner, Sir Alfred : England in Egypt, London 1899.

— **Nuseibeh, Hazem Zaki : The Ideas of Arab Nationalism, Lnodon 1956.**

Safran, Nadav : Egypt in Search of Political Community **(Cambridge : Harvard University Press 1961).**

— **Smith, Wilfred Cantwell : Islam in Modern History U.S.A. 1955.**

— **Vatikiotis, P. J. : Modern history of Egypt (London :** Weidenfled and Nicolson 1969).

بحوث ودراسات باللغة العربية

— **احمد خاكى**

صديق العرابيين ـ ولفرد سكوين بلنت ـ مجلة الجمعية التاريخية لعام ١٩٧٣/٧٢ .

— **احمد عبد الرحيم مصطفى (دكتور)**

أفكار السيد جمال الدين السياسية ـ مجلة الجمعية التاريخية المجلدان ٩ و ١٠ سنة ١٩٦٠ ـ سنة ١٩٦٢ م .

— **رءوف عباس حامد (دكتور)**

المعارضة الوطنية وارهاصات الثورة ـ من كتاب مصر للمصريين القاهرة سنة ١٩٨١ م .

— **رجاء النقاش**

افتراءات مصطفى كامل على أحمد عرابى ـ مجلة الهلال نوفمبر سنة ١٩٧٦ م .

— **زكريا سليمان بيومى (دكتور)**

الفكرة الاسلامية والفكرة القومية فى مصر الحديثة ـ مجلة كلية الشريعة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ أبها ـ السعودية سنة ١٩٧٩ م .

— سعد زغلول عبد ربه (دكتور)

البرتغاليون والبحر الأحمر ـ أبحـاث الاسبوع العلمى الثالث لسنة ١٩٧٩ القاهرة سنة ١٩٨٠ ٠

— صالح رمضان محمود (دكتور)

الصراع الانجليزى الفرنسى فى مصر ١٨٦٣ ـ ١٨٨٢ م ـ مجلة المؤرخ العربى ـ العدد ٧ سنة ١٩٧٨ م ٠

— صلاح العقاد (دكتور)

الفكرة العربيـــة فى مصر ـ مجلة الجمعيـــة التاريخية لسنة ١٩٧٣/٧٢ ٠

— عثمان أمين (دكتور)

محمد عبده ومحاولة اصلاح الأزهر ـ مجلة الرسالة ـ العـدد ٤٠٦ فى ١٤/٤/١٩٤١ م ٠

— على شلبى (دكتور)

دور القـــوى الاجتماعية فى الثورة العرابية ـ من كتاب مصر للمصريين القاهرة سنة ١٩٨١ م ٠

— ل ٠ ن ٠ كلتوف

خصائص وأهمية الحركات الجماهيرية فى المشرق العربى قبيل ثورة الاتحاديين ـ ت : د٠ هاشم التكريتى ـ مجلة المؤرخ العربى العدد ٨ لسنة ١٩٧٨ م ٠

— م ٠ أبير

التجديد والرجعية وامبراطورية محمد على ـ ترجمة مكى حبيب المؤمن مجلة المؤرخ العربى ـ العدد ١٨ لسنة ١٩٨١ م ٠

ـــ محمد مصطفى المراغى

محمد عبده بمناسبة ذكراه السادسة والثلاثين ـ مجلة الرسالة ـ العدد ٤٢٠ فى ١٩٤١/٧/٢١ م ٠

ـــ محمود اسماعيل (دكتور)

رفاعة الطهطاوي ـ فكره الاجتماعى والسياسى ـ المؤرخ العربى ـ العدد ٤ لسنة ١٩٧٧ م ٠

الدوريات

- المنار
- المقتطف
- الرسالة

المحتويات

صفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٠٠٨/١٩٨٣

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ١٩٨ - ٢